

أثر السياق في إعراب الأدوات وبيان معانيها

The impact of the context in morphology of the tools and clarifying their meanings

د. ياسر وليد منون / *

قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة اللاذقية، سورية

yassermannoun90@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/03/31

تاريخ القبول: 2025/02/24

تاريخ الإرسال: 2025/01/12

ملخص:

يَقُومُ هَذَا الْبَحْثُ بِدِرَاسَةِ السِّيَاقِ بُغْيَةَ الْكَشْفِ عَنْ أَهَمِّيَّتِهِ فِي إِعْرَابِ الْأَدَوَاتِ وَبَيَانِ مَعَانِيهَا، وَهَذِهِ إِشْكَالِيَّةٌ تَكْمُنُ فِي أَنَّ الْعَلَاقَاتِ التَّرْكِيبِيَّةَ الَّتِي تَنْتَظِمُ فِي الْجُمْلَةِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ صِنَاعَةٍ لَفْظِيَّةٍ فَقَطْ وَإِنَّمَا تَتَأَثَّرُ أَيْضًا بِمَقَامِهَا الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ، فَالْنَّظْمُ هُوَ أَنْ تُرْتَبَ الْكَلِمَاتُ فِي نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تُرْتَبَ فِي الْجُمْلَةِ، وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ لَاقَتْ قَبُولًا وَاسِعًا عِنْدَ الدَّارِسِينَ، وَلِذَلِكَ حَاوَلْتُ الْوُقُوفَ عِنْدَهَا بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ مُسْتَفِيدًا مِنْ مُعْطَيَاتِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْحَدِيثِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ بِنَظَرِيَّةِ السِّيَاقِ.

وَيَنْتَهِي الْبَحْثُ إِلَى بَيَانِ أَثَرِ السِّيَاقِ فِي تَحْدِيدِ إِعْرَابِ الْأَدَاةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَطَائِفِهَا النَّحْوِيَّةِ، وَأَثَرِهِ فِي تَعَدُّدِ إِعْرَابِ الْأَدَاةِ، وَكَذَلِكَ يُظْهِرُ أَثَرَ السِّيَاقِ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَى الْأَدَاةِ الْمُتَعَدِّدَةِ مَعَانِيهَا الْوُظُفِيَّةِ، وَأَثَرُهُ فِي تَعَدُّدِ مَعْنَى الْأَدَاةِ.

الكلمات المفتاحية: السِّيَاقُ اللُّغَوِيُّ، السِّيَاقُ الْمَقَامِيُّ، الْمَعْنَى، الْأَدَاةُ، الْإِعْرَابُ.

ABSTRACT :

This research examines the context in order to reveal its importance in expressing the tools and showing their meanings, and this problem lies in the fact that the structural relations that are organized in the sentence are not only a verbal industry but also affected by the place in which they were said. Systems are to arrange words in yourself before you arrange them in the sentence. This idea was widely accepted by scholars, so I tried to stand there in a new way, taking advantage of the data of the modern language lesson, which was represented by the theory of context. The research concludes with a statement of the impact of the context in determining the expression of the tool with its multiple grammatical functions, and its effect on the multiplicity of expressions of the tool as well as the impact of the context in determining the meaning of the tool with its functional meanings and its effect on the multiplicity of the meaning of the tool.

Keywords: Linguistic context, pragmatic context, meaning, expression

أثر السياق في إعراب الأدوات وبيان معانيها

1. المقدمة:

* المؤلف المرسل

بَعْدَ أَنْ جَمَعَ النُّحَاةُ الْمَادَّةَ اللُّغَوِيَّةَ وَاسْتَفْرُقُوا هَؤُلَاءِ، رَأَوْا أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْفُضْلَى الَّتِي تَلْتَصِقُ بِبَحْثِهِمِ اللَّغَوِيَّ فِي تَوْزِينِهِمِ الْمَادَّةَ النَّحْوِيَّةَ الَّتِي جَمَعُوهَا هِيَ فِكْرُهُ الْعَامِلُ؛ لِأَنَّهَا أَتَاخَتْ لَهُمْ أَنْ يُسَوِّغُوا اخْتِلَافَ الْحَرَكَاتِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ، فَوَزَعُوا الْمَادَّةَ النَّحْوِيَّةَ عَلَى الْمَرْفُوعَاتِ وَالْمَنْصُوبَاتِ وَالْمَجْزُورَاتِ وَالْمَجْزُومَاتِ، كَمَا أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي تِلْكَ الْعَلَامَاتِ وَذَلِكَ التَّوْزِيعِ إِطْرَاداً لِلْقَوَاعِدِ وَسَهْولَةً فِي جَمْعِ الْمَادَّةِ النَّحْوِيَّةِ فِي بَابٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا، وَبِذَلِكَ بَقِيَتْ تِلْكَ الْعَلَامَاتُ أَكْثَرَ الظُّوَاهِرِ بُرُوزاً فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ.

وَالْبَاحِثُ فِي عَمَلِ النُّحَاةِ لَا يَجِدُ صُعُوبَةً فِي إِيجَادِ بَعْضِ النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي اسْتَعَانُوا بِهَا فِي تَحْلِيلِهِمِ لِلْمَادَّةِ النَّحْوِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ مُشْتَتَّةً مَقْطُوعَةً الْأَوْصَالِ بِسَبَبِ مَنْهَجِهِمِ الَّذِي اعْتَمَدُوهُ، وَهَذَا يَبْرُزُ عَمَلُ الْبَاحِثِ فِي لَمَّ شَتَاتِ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ وَجَمْعِهَا وَإِبْرَارِهَا، وَمِنْ بَيْنِ تِلْكَ الظُّوَاهِرِ الَّتِي اسْتَعَانَ بِهَا النُّحَاةُ فِي تَحْلِيلَاتِهِمْ لِلْمَادَّةِ النَّحْوِيَّةِ السِّيَاقُ.

وَالسِّيَاقُ عِنْدَ النُّحَاةِ رُكْنٌ أَسَاسٌ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا فِيهِ أَحَدَ الْأُسُسِ الَّتِي تُسَاعِدُهُمْ عَلَى إِطْرَادِ الْمَادَّةِ النَّحْوِيَّةِ وَتَحْلِيلِهَا تَحْلِيلًا يَرْتَبِطُ بِالْمَعْنَى.

هَذَا وَلَا يُمَكِّنُ التَّعَاوُلَ عَنْ أَنَّ النَّحْوَ نَشَأَ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَبَيَانِ مَعَانِيهِ، وَهُوَ مَا يَتَطَلَّبُ أَنْ يَكُونَ التَّحْلِيلُ النَّحْوِيُّ مُرْتَبِطًا بِالْمَعْنَى وَالْمَقْصِدِ الْأَسَاسِ الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ، وَمِنْ أَبرزِ مَا يُسَاعِدُهُمْ عَلَى تَحْدِيدِ ذَلِكَ الْمَعْنَى السِّيَاقُ.

وَمِنْ هُنَا تَبْرُزُ أَهَمِّيَّةُ السِّيَاقِ فِي تَحْلِيلَاتِ النَّحْوِيِّينَ لِلْمَادَّةِ النَّحْوِيَّةِ وَفِي تَوْجِيهِ الْمَعْنَى تَوْجِيهاً يَكُونُ أَقْرَبَ لِلْمَقْصِدِ وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ التَّحْلِيلُ النَّحْوِيُّ يَعْمَلُ فِي مَجَالِ النُّصُوصِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي تَتَجَادَّ بِهَا أَحْتِمَالَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ كَثِيرَةٌ.

وَالْأَدَوَاتُ النَّحْوِيَّةُ فِي مَجَالِ التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ تُشَكِّلُ ظَاهِرَةً بَارِزَةً لِتِلْكَ الاحْتِمَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَالْأَدَاةُ الْوَاحِدَةُ قَدْ تَتَجَادَّدُهَا أَغَارِبُ وَمَعَانٍ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُحَلِّلِ النَّحْوِيِّ إِدَامَةَ النَّظَرِ وَتَوْجِيهِ الْقُرْآنِ لِتَحْدِيدِ إِغْرَابِ الْأَدَاةِ وَبَيَانِ مَعْنَاهَا وَلِهَذَا سَيَقْتَصِرُ الْبَحْثُ عَلَى أَثَرِ السِّيَاقِ فِي تَوْجِيهِ إِغْرَابِ الْأَدَوَاتِ وَبَيَانِ مَعَانِيهَا.

وَتَسَعَى هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى تَسْلِيْطِ الضَّوْءِ عَلَى أَثَرِ السِّيَاقِ فِي إِغْرَابِ بَعْضِ الْأَدَوَاتِ وَبَيَانِ مَعَانِيهَا، مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى فَاعِلِيَّةِ السِّيَاقِ فِي تَحْدِيدِ إِغْرَابِ الْأَدَاةِ أَوْ تَعَدُّدِ إِغْرَابِهَا، وَفَاعِلِيَّتِهِ فِي بَيَانِ مَعْنَى الْأَدَاةِ أَوْ تَعَدُّدِ مَعْنَاهَا، وَقَدْ اعْتَمَدَ الْبَحْثُ فِي ذَلِكَ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى اسْتِفْرَافِ الظَّاهِرَةِ وَتَتَبُّعِهَا، وَالْوَصْفِ وَالتَّفْسِيرِ، وَالتَّحْلِيلِ، وَالْاسْتِنْبَاطِ.

2. معنى السياق وموقعه في الدرس اللغوي العربي والغربي:

يُعَدُّ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْمُصْطَلَحِ ضَرُورَةً مِنْ ضَرُورَاتِ فَهْمِ الْبَحْثِ وَبَيَانِ إِشْكَالَاتِهِ وَلِهَذَا يَتَنَاوَلُ الْبَحْثُ مَعْنَى السِّيَاقِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً وَيَقِفُ عَلَى مَوْقِعِهِ فِي الدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ وَالْغَرِبِيِّ.

1.2. معنى السياق لغةً:

يَعُودُ السِّيَاقُ إِلَى الْأَصْلِ اللَّغَوِيِّ (سَوْقَ) الَّذِي تَعُودُ مَعَانِيهِ إِلَى مَعْنَى التَّتَابُعِ وَالتَّسَاوُقِ، فَيُطْلَقُ عَلَى الْمَهْرِ؛ لِأَنَّهُ يُسَاقُ إِلَى الْمَرَاةِ، وَعَلَى النَّزْعِ؛ لِأَنَّ الرُّوحَ تَخْرُجُ تَبَاعاً، وَعَلَى تَتَابُعِ الْكَلَامِ وَأُسْلُوبِهِ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ⁽¹⁾، وَقَدْ أَدْخَلَتْ بَعْضُ الْمَعَاجِمِ الْحَدِيثَةِ إِلَى مَعْنَى السِّيَاقِ مَعْنَى مُحِيطِ الْكَلَامِ وَبَيِّنَتِهِ وَقُرَائِنِهِ⁽²⁾.

2.2. السياق اصطلاحاً:

كَانَ تَعْرِيفُ السِّيَاقِ مَثَارَ اخْتِلَافٍ بَيْنَ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ انْقَسَمُوا إِلَى قِسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ:

اقتصر هذا القسم على السياق اللغوي؛ لأنَّ المعنى المعجبي يدلُّ على التنازع ولا يشمل القرائن المقامية، ولهذا يقول الباحث عبد الرحمن المطيري في تعريف السياق بأنَّه: "تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى"⁽³⁾، ويقول المثنى عبد الفتاح محمود: السياق القرآني هو "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"⁽⁴⁾.

القسم الثاني:

رأى قسم كبير من الباحثين أنَّ السياق لا يقتصر على السياق اللغوي وإنما يشمل أيضاً القرائن المقامية، وهو مزج من مصطلح إنكليزي وهو (context) وهذا المصطلح يشمل ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص، وقبيل التوارد المعجبي التي تُراعى عند استعمال أكثر من وحدة لغوية، ونصاً لغوياً يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملماً سواءً أكان النص مكتوباً أم متكلماً به، والأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام⁽⁵⁾، ويقول الدكتور نوح الشهي في تعريف السياق: "هو مجموع القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تنازع الكلام وانتظام سابقه ولحقه به"⁽⁶⁾.

ويمكن الإشارة إلى أنَّ مصطلح السياق لم يرد له تعريف في التراث اللغوي العربي القديم، ولكن العلماء القدماء استخدموه في أثناء تحليلاتهم للنصوص اللغوية الرفيعة، وقد ذكر الباحث ردة الله الطلي أنَّ مصطلح السياق في التراث العربي يدور حول ثلاث نقاط⁽⁷⁾:

الأولى: السياق هو الغرض، والمقصود بالغرض قصد المتكلم من إيراد الكلام.

الثانية: السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص.

الثالثة: السياق هو السياق اللغوي الذي يمثل الكلام في موضع النظر أو التحليل.

وبقيت الإشارة إلى أنَّ العلاقة بين السياق والمعنى علاقة وثيقة، فالسياق هو قرينة تساعد على فهم المعنى وإيضاحه، ولهذا يستبعد البحث أن يكون السياق هو غرض المتكلم، وإنما يكون غرض المتكلم قرينة حالية تساعد على فهم المعنى.

وعلى هذا يكون معنى السياق هو مجموع القرائن المقالية المستمدة من النص، والمقامية المستمدة من خارج النص التي تُعين على بيان المعنى المراد من النص.

2.3. السياق في الدرس اللغوي العربي:

استعان العلماء العرب على اختلاف مجالاتهم بالسياق في استنتاج دلالة النص وتحليلاتهم اللغوية، ولا يتسع هذا البحث إلى الاستفاضة في تناول كل أولئك العلماء على اختلاف مشاربهم، ولهذا سيكون التطرق بكثرة إلى مجال الدرس النحوي وما يتعلق به؛ لأنَّ عنوان البحث يختص بإعراب الأدوات وبيان معانيها.

فالنَّحاة بعد جمع المادة اللغوية واستقراءها رأوا أنَّ الطريقة الفضلى التي تلتصق بتحليل اللغوي في توزيعهم المادة النحوية التي جمعوها هي فكرة العامل؛ لأنها أتاح لهم أن يسوِّعوا اختلاف الحركات من موضع إلى آخر، فوزعوا المادة النحوية على المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمجزومات، وبذلك بقيت تلك العلامات أكثر الطواهر بروزاً في الدرس النحوي، ولكنَّ النَّحاة لم يقفوا في تفسير تلك المادة النحوية على الشكل اللغوي فقط وإنما استعانوا في تفسيرها بالمقام فجمعوا بين القواعد اللغوية وسياقها اللغوي ومقامها الذي قيلت فيه، وهو ما يُسمى بالسياق.

وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ الْوُقُوفَ عِنْدَهُ فِي مَجَالِ التَّدْلِيلِ عَلَى أَنَّ النُّحَاةَ اسْتَعَانُوا بِالسِّيَاقِ هُوَ سَيَبُوتُهُ الَّذِي تَجَاوَزَ الْمَفْهُومَ الشَّكْلِيَّ لِلنَّحْوِ إِلَى مَفْهُومِهِ الْوَاسِعِ، إِذْ اعْتَنَى بِإِظْهَارِ الدَّلَالَاتِ النَّحْوِيَّةِ فِي نِطَاقِ الْمُحَوَّرِ السِّيَاقِيِّ الَّذِي تَرَدُّ فِيهِ، فَاللُّغَةُ عِنْدَهُ "لَمْ تَكُنْ تَنْفَكُ عَنْ مَلَابَسَاتِ اسْتِعْمَالِهَا وَمَقَائِيَسِ اللُّغَةِ عِنْدَهُ تَسْتَمِدُّ مِنْ مُعْطِيَاتِ النِّظَامِ الدَّاخِلِيِّ لِلْبِنَاءِ اللُّغَوِيِّ، كَمَا تُسْتَمَدُّ مِنْ مُعْطِيَاتِ السِّيَاقِ الاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي تَكْتَنِفُ الاسْتِعْمَالَ اللُّغَوِيَّ"⁽⁸⁾، فَبِى (بَابِ مَا يُضْمَرُ الْفِعْلُ الْمُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُهُ فِي غَيْرِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ) يَبِينُ سَيَبُوتُهُ دَوْرَ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ فِي إِكْمَالِ الْكَلَامِ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ، إِذْ يَقُولُ: "وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {بَلْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَبِيقًا}⁽⁹⁾، أَيْ: بَلْ تَبَعُ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: اتَّبِعُوا حِينَ قِيلَ لَهُمْ: {كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى}⁽¹⁰⁾"⁽¹¹⁾، فَالْمَحْدُوفُ إِنَّمَا فَهْمٌ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ؛ إِذْ مَعْنَى: {كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى} اتَّبِعُوا ذَلِكَ الْمَنْهَجَ، فَحَدَفَ الْفِعْلُ (تَبَع) اسْتِعْنَاءً بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ.

وَقَدْ حَلَّلَ سَيَبُوتُهُ التَّرَاكِبَ النَّحْوِيَّةَ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا بِنْتُ مُحِيطِهَا وَمَقَامِهَا الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ، فَالتَّرَكُّيبُ عَيْنُهُ يَصِحُّ فِي مَقَامٍ وَيَقْبَحُ فِي آخَرٍ، وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِكَ وَمَعْرِفَتِكَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ بِأَمْرِ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ مِنْطَلِقًا وَهُوَ زَيْدٌ مِنْطَلِقًا كَانَ مُحَالًا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَكَ بِالْانْطِلَاقِ وَلَمْ يَقُلْ: هُوَ وَلَا أَنَا حَتَّى اسْتَغْنَيْتَ أَنْتَ عَنِ التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّ هُوَ وَأَنَا عَلَامَتَانِ لِلْمُضْمَرِ وَإِنَّمَا يُضْمَرُ إِذَا عَلِمَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ مَنْ يَعْنِي إِلَّا أَنَّ رَجُلًا لَوْ كَانَ خَلْفَ حَائِطٍ أَوْ فِي مَوْضِعٍ تَجْهَلُهُ فِيهِ فَقُلْتَ: مَنْ أَنْتَ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ مِنْطَلِقًا فِي حَاجَتِكَ كَانَ حَسَنًا"⁽¹²⁾، فَفَرَّقْنَاهُ الْمَقَامَ سَوَّغَتْ قُبُولَ الْكَلَامِ وَاسْتِحْسَانَهُ وَإِلَّا كَانَ مَرْفُوضًا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ سَيَبُوتَهُ قَدْ تَعَامَلَ مَعَ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّهَا ضَرَبٌ مِنَ النَّشَاطِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي يَتَفَاعَلُ مَعَ مُحِيطِهِ وَظُرُوفِهِ، فَكَانَ سَيَبُوتُهُ بَاعِثًا لِلُّغَوِيِّينَ بَعْدَهُ عَلَى تَرْتِيبِ أَفْكَارِهِمْ وَنَسْجِهَا بِشَكْلِ مُنْتَظَمٍ لِتَخْرُجَ بِثُوبٍ نَظَرِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ تُبْرِزُ أَهَمِّيَّةَ الْمَعْنَى وَمَقَامَ الاسْتِعْمَالِ فِي الْعَلَاقَاتِ النَّحْوِيَّةِ وَتَنْظِيمِهَا⁽¹³⁾.

وَأَخَذَ الْمُبَرِّدُ يَسْتَدِلُّ بِالسِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ الْكَبِيرِ مِنْ خِلَالِ قَرْنِ الْآيَةِ بِآيَةٍ أُخْرَى وَهُوَ مَا يُسَمَّى تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ يَدْخُلُ ضَمْنَ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ {ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا}⁽¹⁴⁾ فَعَلَى الْجَوَابِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَفَأَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا قِيلَ: مَخْرَجُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْوَعِيدِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}⁽¹⁵⁾ {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}⁽¹⁶⁾ أَمَّا قَوْلُهُ {ذَرُّهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}⁽¹⁷⁾ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِجَوَابٍ وَلَكِنْ الْمَعْنَى ذَرُّهُمْ لِأَعْيُنٍ، أَيْ: ذَرُّهُمْ فِي حَالِ لَعِبِهِمْ"⁽¹⁸⁾.

فَقَدْ بَيَّنَّ الْمُبَرِّدُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا} خَرَجَ مَخْرَجَ الْوَعِيدِ مُسْتَدَلًّا عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ بِمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ} فَإِنَّهُ لَيْسَ أَمْرًا بِالْكَفْرِ وَإِنَّمَا هُوَ وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} خَرَجَ مَخْرَجَ الْوَعِيدِ.

وَأَشَارَ الْمُبَرِّدُ إِلَى السِّيَاقِ الْمَقَامِيِّ فِي قُبُولِ الْكَلَامِ بِقَوْلِهِ: "حَدُّ الْأَسْمَاءِ الظَّاهِرَةِ أَنْ تُخْبِرَ بِهَا وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ غَائِبٍ وَالْمُخْبَرُ عَنْهُ غَيْرُهَا فَتَقُولُ: قَالَ زَيْدٌ، فَرَيْدٌ غَيْرُكَ وَغَيْرُ الْمُخَاطَبِ وَلَا تَقُولُ: قَالَ زَيْدٌ وَأَنْتَ تَعْنِيهِ أَعْنِي الْمُخَاطَبَ"⁽¹⁹⁾.

وَتَنَاوَلُ الْمُبَرِّدُ قَوْلَنَا: غَفَرَ اللَّهُ لِرَيْدٍ، وَرَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَفْظُهُ لَفْظُ الْخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ الطَّلَبُ، وَفَسَّرَ ذَلِكَ بِعِلْمِ السَّامِعِ، فَقَالَ: "وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِعِلْمِ السَّامِعِ أَنَّكَ لَا تُخْبِرُ عَنِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا تَسْأَلُهُ"⁽²⁰⁾، وَهَكَذَا يَكُونُ مُصْطَلَحُ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ قَرِينَةً أَبَاحُوا مِنْ خِلَالِهَا تَسْوِيعَ التَّرَاكِبِ النَّحْوِيَّةِ وَتَحْلِيلَهَا تَحْلِيلًا يَرِيطُهَا بِالْمَقَامِ وَلَا يَكْتَفِي بِظَاهِرِ التَّرَكِيبِ، وَلِهَذَا يُعَدُّ عَنْدهُمْ دَلِيلًا عَلَى اخْتِلَافِ جِهَاتِ الْكَلَامِ وَخُرُوجِ الْعِبَارَةِ عَنْ مَذَلُولِهَا النَّحْوِيِّ الظَّاهِرِيِّ إِلَى مَعْنَى مُخْتَلِفٍ⁽²¹⁾.

وقد بين ابن جني أهمية السياق في الكشف عن الدلالات النحوية من خلال وقوفه على قول الشاعر⁽²²⁾:

تقول وصكت وجهها بيمينها ... أبغلي هذا بالرحى المتقاعس

يَقُولُ ابْنُ جَنِّي: "فَلَوْ قَالَ حَاكِبًا عَنْهَا أَبْغَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعَسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ صَكَ الْوَجْهِ لَأَعْلَمْنَا بِذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ مُتَعَجِّبَةً مُنْكَرَةً لِكَيْتَ لَمَّا حَكَى الْحَالُ فَقَالَ وَصَكَتْ وَجْهَهَا عِلْمٌ بِذَلِكَ قُوَّةُ انْكَارِهَا وَتَعَاظُمُ الصُّورَةِ لَهَا، هَذَا مَعَ أَنَّكَ سَامِعٌ لِحَاكِبَةٍ

الْحَالِ، غَيْرُ مُشَاهِدٍ لَهَا وَلَوْ شَاهَدَتْهَا لَكُنْتَ بِهَا أَعْرَفَ وَلِعَظِمَ الْحَالُ فِي نَفْسِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ أَتَيْنَ، وَقَدْ قِيلَ: لَيْسَ الْمُخْبَرُ كَالْمُعَايِنِ وَلَوْ لَمْ يَنْقُلْ إِلَيْنَا هَذَا الشَّاعِرُ حَالِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِقَوْلِهِ وَصَّكَتْ وَجْهَهَا لَمْ نَعْرِفْ بِهِ حَقِيقَةَ تَعَاظُمِ الْأَمْرِ لَهَا⁽²³⁾."

وَفِي النَّصِّ الصَّغِيرِ السَّابِقِ تَكْمُنُ عَنَّا صِرَ نَظَرِيَّةُ السِّيَاقِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْآتِي:

1- الْحَدَّثُ الْكَلَامِيُّ الَّذِي ظَهَرَ فِي قَوْلِ الْمَرْأَةِ: (أُبْعِلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعَسِ).

2- الْحَدَّثُ غَيْرُ الْكَلَامِيِّ الَّذِي بَدَأَ فِي عِبَارَةِ (وَصَّكَتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا).

3- أَثَرُ هَذَيْنِ الْحَدَّثَيْنِ فِي السَّامِعِ وَالْمُشَاهِدِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ جَنِّي بِقَوْلِهِ: "هَذَا مَعَ أَنَّكَ سَامِعٌ لِحِكَايَةِ الْحَالِ، غَيْرُ مُشَاهِدٍ لَهَا وَلَوْ شَاهَدَتْهَا لَكُنْتَ بِهَا أَعْرَفَ وَلِعَظِمَ الْحَالُ فِي نَفْسِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ أَتَيْنَ".

4- وَجُوبُ الإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ الْوَثِيقَةِ الصِّلَةِ بِالْحَدَّثِ الْكَلَامِيِّ، وَيَتَجَلَّى وَاضِحاً فِي قَوْلِهِ: "فَلَوْ قَالَ حَاكِياً عَنْهَا أَبْعِلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعَسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ صَكَّ الْوَجْهِ لَأَعْلَمْنَا بِذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ مُتَعَجِّبَةً مُنْكَرَةً لِكِنَّهُ لَمَّا حَكَى الْحَالُ فَقَالَ وَصَّكَتْ وَجْهَهَا عَلِمَ بِذَلِكَ قُوَّةَ إِنْكَارِهَا وَتَعَاظُمِ الصُّورَةِ لَهَا".

وَلِهَذَا نَجِدُ ابْنَ جَنِّي يَسْتَبْدُ عَلَى حُصُولِ إِفَادَةِ جَدِيدَةٍ لِلْمُخَاطَبِ فِي تَوْجِيهِ إِعْرَابِ كَلِمَةِ "خَاسِنِينَ" مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}⁽²⁴⁾ فَهُوَ يَرَى أَنَّ كَلِمَةَ "خَاسِنِينَ" إِذَا أُعْرِبَتْ خَبَرًا ثَانِيًا تُفِيدُ الْمُخَاطَبَ مَعْنَى جَدِيدًا يَغْلُو بِهِ الْكَلَامُ، أَكْثَرَ مِمَّا تُفِيدُهُ إِذَا أُعْرِبَتْ صِفَةً؛ لِأَنَّهَا تُعْطِي مَعْنَى مُعَادًا وَتَكُونُ تَحْصِيلَ حَاصِلٍ وَلَعَوًا لَا فَايِدَةَ فِيهِ، يَقُولُ ابْنُ جَنِّي: "يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ "خَاسِنِينَ" خَبَرًا آخَرَ لـ "كُونُوا" وَالْأَوَّلُ "قِرَدَةً" فَهُوَ كَقَوْلِكَ: هَذَا حُلُو حَامِضٍ وَإِنْ جَعَلْتَهُ وَصْفًا لـ "قِرَدَةً" صَغُرَ مَعْنَاهُ أَلَّا تَرَى أَنَّ الْقِرَدَةَ لِيَذِلِّهِ وَصَغَارُهُ خَاسِيٌّ أَبَدًا فَيَكُونُ إِذَا صِفَةً غَيْرَ مُفِيدَةٍ، وَإِذَا جَعَلْتَ "خَاسِنِينَ" خَبَرًا ثَانِيًا حَسَنٌ وَأَفَادَ حَتَّى كَانَهُ قَالَ: كُونُوا قِرَدَةً وَكُونُوا خَاسِنِينَ أَلَّا تَرَى أَنَّ لَيْسَ لِأَحَدِ الْإِسْمَيْنِ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِالْخَبَرِيَّةِ إِلَّا مَا لِصَاحِبِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الصِّفَةِ بَعْدَ الْمُوصُوفِ إِنَّمَا اخْتِصَاصُ الْعَامِلِ بِالْمَوْصُوفِ ثُمَّ الصِّفَةِ مِنْ بَعْدِ تَابِعَةٍ لَهُ⁽²⁵⁾."

وَفِي النَّصِّ السَّابِقِ تَبْدُو أَهْمِيَّةُ السِّيَاقِ الْمَقَامِي مَثَلًا بِمَصْطَلَحِ إِفَادَةِ الْمُخَاطَبِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النُّحَوِيْنَ "لَمْ يَفْهَمُوا مِنَ اللَّغَةِ أَنَّهَا مَنْظُومَةٌ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُجَرَّدَةِ وَإِنَّمَا فَهَمُوا مِنْهَا أَيْضًا أَنَّهَا لَفْظٌ مُعَيَّنٌ يُوَدِّيهِ مُتَكَلِّمٌ مُعَيَّنٌ فِي مَقَامٍ مُعَيَّنٍ لِأَدَاءِ غَرَضٍ تَوَاصُلِيٍّ إِبْلَغِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَلِذَلِكَ جَعَلُوا مِنْ أَهْدَافِ الدِّرَاسَةِ النُّحَوِيَّةِ إِفَادَةَ الْمُخَاطَبِ مَعْنَى الْخُطَابِ وَإِصْلَاحَهُ رِسَالَةً إِبْلَغِيَّةً إِلَيْهِ⁽²⁶⁾."

وَقَدْ اسْتَطَاعَ الْجُرْجَانِيُّ أَنْ يُنْظِمَ أَفْكَارَ سَابِقِيهِ وَيَصَوِّغَ مِنْ خِلَالِهَا نَظَرِيَّةَ النِّظْمِ الَّتِي شَكَّلَتْ مُنْعَطَفًا مُهِمًّا فِي تَارِيخِ الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَوَّلُ مَا قَرَّرَهُ فِيهَا عَدَمُ إِعْطَاءِ آيَةٍ قِيَمَةٍ لِلْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ قَبْلَ دُخُولِهَا فِي التَّرَكُّيبِ عَلَى طَرِيقَةِ مَخْصُوصَةٍ، وَضَاطِبُ النِّظْمِ عِنْدَهُ هُوَ عِلْمُ النَّحْوِ، وَلِهَذَا عَلِمَ: "أَنَّ لَيْسَ النَّظْمُ إِلَّا أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَفْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ وَتَعْمَلَ عَلَى قَوَائِيهِ وَأَصُولِهِ وَتَعْرِفَ مَنَاجِجَهُ الَّتِي تُهَبَّتُ فَلَا تَزِنُ عَنْهَا، وَتَحْفَظَ الرُّسُومَ الَّتِي رُسِمَتْ لَكَ فَلَا تُخِلَّ بِشَيْءٍ مِنْهَا⁽²⁷⁾."

ثُمَّ يَعِيدُ الْجُرْجَانِيُّ الْمَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ التَّأْلِيفِ إِلَى مُنَاسَبَتِهِ الْمَعْنَايَ وَالْأَعْرَاضَ، فَقَالَ: "وَإِذَا قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ مَدَارَ أَمْرِ النَّظْمِ عَلَى مَعْنَايِ النَّحْوِ... عَلِمَ أَنَّ لَيْسَتْ الْمَرِيَّةُ بِوَاجِبَةٍ لَهَا فِي أَنْفُسِهَا وَمِنْ حَيْثُ هِيَ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَكِنْ تُعْرَضُ بِسَبَبِ الْمَعْنَايِ وَالْأَعْرَاضِ الَّتِي يُوضَعُ لَهَا الْكَلَامُ ... (28) "

فَمَرْجِعُ دَرَجَاتِ النَّحْوِ الَّتِي تَتَعَدَّى عِنْدَهُ دَائِرَةُ الصِّحَّةِ إِلَى دَائِرَةِ الْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا، هُوَ حُسْنُ التَّلَاقُومِ وَالتَّنَاسُبِ بَيْنَ الْمَعْنَايِ وَالْأَلْفَافِ، مَعَ مَرَاعَةِ الْقَوَاعِدِ النُّحَوِيَّةِ مَرَاعَةً تَامَّةً بِحَسَبِ الْمَقَامِ وَالْأَعْرَاضِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّفْسِيرَ لِلنِّظْمِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ حَمَّاسَةُ عَبْدَ اللطيفِ عِنْدَمَا قَالَ: "وَيُمْكِنُنَا بِذَلِكَ أَنَّ نَفْسَرَ النَّظْمَ عِنْدَ عَبْدِ الْقَاهِرِ بِأَنَّهُ ذَلِكَ الضَّرْبُ مِنَ الْإِخْتِيَارِ بَيْنَ

العَلَاَقَاتِ النَّحْوِيَّةِ أَوْ الْمَعَانِي النَّحْوِيَّةِ وَالْمُفْرَدَاتِ اللَّغَوِيَّةِ الَّذِي يُصِيبُ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُ تَوْفِيقًا يَتَلَاءَمُ مَعَ الْغَرَضِ الَّذِي سِيَقُ مِنْ أَجْلِهِ الْكَلَامُ⁽²⁹⁾."

وَقَدْ ذَهَبَ الْجِرَانِيُّ إِلَى أَنَّ نَصَبَ الْمَفْعُولِ "مِثْلًا" بِالْعَامِلِ الثَّانِي "نَجِدَ" وَلَيْسَ الْأَوَّلُ "طَلَبْنَا" فِي إِشَارَةٍ إِلَى بَابِ التَّنَازُعِ كَانَ سَبَبُهُ مَقْصِدَ الشَّاعِرِ وَغَايَتَهُ، وَلَا عِلَاقَةَ لِقُرْبِ الْعَامِلِ أَوْ بُعْدِهِ بِالْعَمَلِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ الْبَحْتَرِيِّ⁽³⁰⁾:

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّوِ الْمَجْدَ وَالْمَكَارِمَ مِثْلًا

يَقُولُ: "الْمَعْنَى: قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا ثُمَّ حُذِفَ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُ فِي الثَّانِي يَدُلُّ عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّ لِلْمَجِيءِ بِهِ كَذَلِكَ مِنَ الْحُسْنِ وَالْمَزِيَّةِ وَالرَّوْعَةِ مَا لَا يَخْفَى... وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَدْحِ وَالْغَرَضِ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ نَفْيُ الْوُجُودِ عَنِ الْمِثْلِ، فَأَمَّا الطَّلَبُ فَكَالْتَنِيءِ يُذَكِّرُ لِيُبَيِّنَ عَلَيْهِ الْغَرَضَ وَيُوكِّدُ بِهِ أَمْرَهُ. وَإِذَا كَانَ هَذَا كَذَلِكَ فَلَوْ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ طَلَبْنَا لَكَ فِي السُّودِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا فَلَمْ نَجِدْهُ لَكَانَ يَكُونُ قَدْ تَرَكَ أَنْ يُوقِعَ نَفْيَ الْوُجُودِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِ الْمِثْلِ وَأَوْقَعَهُ عَلَى ضَمِيرِهِ. وَلَنْ تَبْلُغَ الْكِنَايَةُ مَبْلَغَ الصَّرِيحِ أَبَدًا"⁽³¹⁾.

فَقَدْ أَدْرَكَ الثُّخَاءُ الْعَرَبُ فِي تَفْعِيدِهِمُ الْأَحْكَامَ النَّحْوِيَّةَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ مَا نَطَقَتْ بِهِ الْعَرَبُ وَمَا أَرَادَتْهُ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهَا، وَمِنْ هُنَا كَانَ غَرَضُ الْمُتَكَلِّمِ كَمَا يَقُولُ مَسْعُودُ صَحْرَاوِي "قَرِينَتُهُ تُسَاعِدُ عَلَى تَحْدِيدِ الْوُظُفَةِ النَّحْوِيَّةِ لِلْكَلِمَةِ وَبَيَانِ دَوْرِهَا فِي التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ لِلْجُمْلَةِ"⁽³²⁾.

فَرَبَطَ النُّصُوصُ بِسِيَاقِهَا يُحْكِمُ دَلَالَةَ الْقَاعِدَةِ وَيُوكِّدُهَا، وَيُحِيلُ الْإِخْتِلَافَ انْتِلَافًا وَتَوَافُقًا، وَيَحْفَظُ مَقَاصِدَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى اخْتِلَافِ ظَوَاهِرِهَا، وَتُصْبِحُ اللَّغَةُ لُغَةً حَيَّةً يُمَكِّنُ أَنْ تَتَطَوَّرَ فِي ظِلِّ الْمَقَاصِدِ، وَتَبْنِي لِنَفْسِهَا قَوَاعِدَ تَرْتَبِطُ بِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسْتَجِدَّ مِنْ أُمُورٍ مَا دَامَتْ عَلَى صِلَةٍ بِالسِّيَاقِ.

وَيُمْكِنُ فِي النِّهَايَةِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الثُّخَاءَ كَانُوا عَلَى وَعْيٍ تَامٍ بِالسِّيَاقِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، فَقَدْ أَدْرَكُوا أَهَمِّيَّتَهُ فِي التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَدِّمَهُ لَهُمْ مِنْ أَطْرَادٍ لِلْقَاعِدَةِ وَبَيَانٍ لِلْمَعَانِي، وَعَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ اسْتِخْدَامُ الثُّخَاءِ لِلْسِّيَاقِ أَقْلًا مِنْ اسْتِخْدَامِ الْبَلَاغِيِّينَ لَهُ كَمَا ذَكَرَ الطَّلُجِيُّ⁽³³⁾، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِخْدَامُ الثُّخَاءِ لِلْسِّيَاقِ فِي تَحْلِيلَاتِهِمْ لِلْبَيِّنَةِ النَّحْوِيَّةِ لِلْجُمْلَةِ فِي حِينٍ كَانَ اسْتِخْدَامُ الْبَلَاغِيِّينَ لِلْسِّيَاقِ فِي بَيَانِ الدَّلَالَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ، فَلِكُلِّ عَمَلٍ، وَمَعَ هَذَا نَرَى تَرَاجُعًا لاسْتِخْدَامِ السِّيَاقِ عِنْدَ الثُّخَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ؛ لِأَنَّ الْعِنَايَةَ بِالنَّحْوِ أَصْبَحَتْ يَهْدَفُ تَعْلِيلِيًّا، وَلِهَذَا الْمَرْحَلَةَ خَصَّاصِصُهَا وَأُسْلُوبُهَا⁽³⁴⁾.

4.2. السياق في الدرس اللغوي الغربي:

انْتَبَهَتْ أَنْظَارُ الْعَرَبِ إِلَى الدِّرَاسَةِ اللَّغَوِيَّةِ إِذْ أَوَّلَى دِي سوسير اللغة مكانةً مِهْمَةً، فَدَرَسَهَا بِوَصْفِهَا بِنَاءً مُتَكَامِلًا وَدَعَا إِلَى النَّظَرِ فِي الْعِنَاصِرِ اللَّغَوِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ مُفْرَدَاتٍ وَجُمْلٍ وَتَرَائِيبٍ بِوَصْفِهَا كَلَامًا مُتَرَابِطًا لَا يَكْتَسِبُ قِيَمَتَهُ إِلَّا بِارْتِبَاطٍ بِعَضِهِ بِبَعْضٍ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ أَكَّدَ سِيَاقِ النَّصِّ فِي التَّحْلِيلِ اللَّغَوِيِّ مِنْ دُونِ الْإِشَارَةِ إِلَى السِّيَاقِ الْمَقَامِيِّ⁽³⁵⁾، فَخَلَّاصُهُ فِكْرَةُ السِّيَاقِ وَقِيَمَتُهَا عِنْدَهُ تَطْهَرَانِ فِي قَوْلِهِ: "وَالْكَلِمَةُ إِذَا وَقَعَتْ فِي سِيَاقٍ مَا لَا تَكْسِبُ قِيَمَتَهَا إِلَّا بِفَضْلِ مُقَابَلَتِهَا لِمَا هُوَ سَابِقٌ وَلِمَا هُوَ لَاحِقٌ بِهَا أَوْ لِكُلِّهِمَا مَعًا"⁽³⁶⁾.

وَكَذَلِكَ أَشَارَ فِنْدَرِيسُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ سِيَاقِ النَّصِّ الَّذِي يُعِينُ عَلَى تَحْدِيدِ مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا إِحْدَى الْكَلِمَاتِ، إِذْ يَقُولُ: "الَّذِي يُعِينُ قِيَمَةَ الْكَلِمَةِ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ... إِنَّمَا هُوَ السِّيَاقُ... وَالسِّيَاقُ هُوَ الَّذِي يَفْرِضُ قِيَمَةً وَاحِدَةً بِعَيْنِهَا عَلَى الْكَلِمَةِ بِالرُّغْمِ مِنَ الْمَعَانِي الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي فِي وَسْعِهَا أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهَا"⁽³⁷⁾.

وَقَدْ أَدْرَكَ مَالِينُوفْسْكِ قِصَرَ دِرَاسَةِ اللَّغَةِ وَحَدَهَا فِي إِبْرَازِ الْمَعْنَى، فَحَاولَ أَنْ يَرَبِطَ السِّيَاقَ اللَّغَوِيَّ بِالسِّيَاقِ الْمَقَامِيِّ حِينَ رَأَى "أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْمَعْرُولَةَ عَنْ سِيَاقِهَا لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونُ أَصْوَاتًا مُبْهَمَةً، وَاقْتَرَحَ حَلًّا لِهَذِهِ الْمَشْكِلةِ"⁽³⁸⁾، وَهُوَ "ضَرُورَةُ تَحْلِيلِ أَنْمَاطِ السِّيَاقَاتِ الْكَلَامِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَمُرَاعَاةِ الْمَوَاقِفِ الْخَارِجِيَّةِ أَوْ الظُّرُوفِ غَيْرِ اللَّغَوِيَّةِ الْمَصَاحِبَةِ لِلْإِدَاءِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَمِنْ ثَمَّ

فإنَّه عَرَفَ معنى الكلمة أو الوحدة اللُّغَوِيَّةَ بِأَنَّهَا الوظيفةُ الَّتِي تُؤَدِّيها فِي سِيَاقٍ مَا ثُمَّ صَاغَ عِبَارَتَهُ الْمَشْهُورَةَ context of situation الَّتِي يُمَكِّنُ تَرْجُمَتَهَا بِسِيَاقِ الْمَوْقِفِ أو الظُّرُوفِ الْخَارِجِيَّةِ الْمَصاحِبَةِ لِلْأداءِ اللُّغَوِيِّ⁽³⁹⁾.

وَقَدْ لَاقَتْ هَذِهِ الْأَفْكَارُ صَدَى عِنْدَ فَيْرِثِ الَّذِي قَدَّمَ نَظَرِيَّتَهُ فِي السِّيَاقِ بِنَاءً عَلَى فَهْمِهِ الْمَعْنَى، فَقَرَّرَ أَنَّهُ "عِلَاقَةٌ بَيْنَ الْعَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ وَالسِّيَاقِ الْاجْتِمَاعِيِّ بِحَيْثُ تَتَحَدَّدُ مَعَانِي تِلْكَ الْعَنَاصِرِ وَفَقاً لِاسْتِعْمَالِهَا فِي الْمَوَاقِفِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ"⁽⁴⁰⁾.

وَيُمْكِنُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَكْثَرِ النَّقَاطِ أَهْمِيَّةً فِي نَظَرِيَّةِ السِّيَاقِ عِنْدَ فَيْرِث، وَتَكْمُنُ فِي الْآتِي⁽⁴¹⁾:

1- النُّظَرَةُ الْمُسَاوِيَّةُ إِلَى السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ وَالْمَقَامِيِّ فِي التَّحْلِيلِ الدِّلَالِيِّ.

2- تَنَاوُلُ كُلِّ عَنَاصِرِ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ فِي التَّحْلِيلِ، وَتَكْمُنُ هَذِهِ الْعَنَاصِرُ فِي الْمُسْتَوَيَاتِ الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَالْمُعْجَمِيَّةِ وَالِدِّلَالِيَّةِ.

3- عَدَمُ قَبُولِ مَا يُسَمَّى الْوِظِيفَةُ الْأَسَاسِيَّةُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَظِيفَةٍ هِيَ وَظِيفَةٌ أُسَاسِيَّةٌ فِي الْمَقَامِ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ.

4- تَنَاوُلُ كُلِّ أَنْوَاعِ الْاسْتِخْدَامِ اللُّغَوِيِّ، إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ اسْتِخْدَامٌ يُمَكِّنُ النَّظَرَ إِلَيْهِ بِعَدِهِ الْقَاعِدَةُ (التَّجْرِيدِيَّةُ) وَبَقِيَّةُ الْاسْتِخْدَامَاتِ بِعَدِهَا أَنْمَاطٌ ثَانَوِيَّةٌ وَأَنْمَا يَنْظُرُ إِلَى الْجَمِيعِ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ بِعَدِهَا بَدَائِلُ الْأَنْمَاطِ السِّيَاقِيَّةِ.

5- تَحْلِيلُ اللَّغَةِ عَلَى أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ النَّتَاجِ الْاجْتِمَاعِيِّ.

6- تَنَاوُلُ الْجُمْلَةِ عَلَى أَنَّهَا وَحْدَةُ الْاسْتِخْدَامِ اللُّغَوِيِّ الْأَسَاسِيَّةِ.

7- عَدَّ الْمَعْنَى فِي مَفْهُومِهِ النَّفْعِيِّ ذَا طَبِيعَةٍ مُتَغَيِّرَةٍ وَذَلِكَ نَظراً لِارْتِبَاطِهِ بِالْكَلَامِ الْفِعْلِيِّ.

وَقَدْ طَوَّرَ أُولَئِكَ نَظَرِيَّةَ السِّيَاقِ عِنْدَ فَيْرِث، فَأَشَارَ إِلَى أَنَّ السِّيَاقَ يَنْبَغِي أَلَّا يَشْمَلَ الْكَلِمَاتِ وَالْجُمْلَ السَّابِقَةَ وَاللَّاحِقَةَ فَحَسَبَ بَلْ يَشْمَلَ الْقِطْعَةَ كُلَّهَا وَالْكِتَابَ كُلَّهُ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ ظُرُوفٍ وَمُلَاطَبَاتٍ، وَبِذَلِكَ يُصْبِحُ السِّيَاقُ حَجَرَ الْأَسَاسِ فِي عِلْمِ الْمَعْنَى⁽⁴²⁾.

وَأَشَارَ جُون لاينز إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ لَا يَظْهَرُ مِنْ دُونِ وَضْعِهَا فِي سِيَاقٍ، وَأكَّدَ أَنَّ "عَلَيْنَا أَلَّا نَعُدَّ اسْتِقَامَةَ النُّحُوِّ مُطَابِقَةً لِقَبُولِ الْجُمْلَةِ، فَالْجُمْلُ جَمِيعُهَا سَلِيمَةٌ التَّرْكِيبِ نَحْوِيًّا، وَالتَّرْكِيبُ الدِّلَالِيُّ شَرْطٌ فِي الْقَبُولِ، وَكَذَلِكَ مُوَافَقَةُ الْجُمْلَةِ لِلْسِّيَاقِ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ أَيْضاً"⁽⁴³⁾.

وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ السِّيَاقَ عِنْدَ الْغَرَبِ قَدْ تَجَاوَزَ سِيَاقَ النَّصِّ لِيَشْمَلَ السِّيَاقَ الْمَقَامِيَّ، فَلَمْ يَقِفْ الْبَاحِثُونَ الْغَرِبِيُّونَ عِنْدَ سِيَاقِ النَّصِّ وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقْدِمَهُ لِلْمَعْنَى بَلْ أَدْخَلُوا فِي تَحْلِيلَاتِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ السِّيَاقَ الْمَقَامِيَّ؛ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا قِصَرَ التَّعَامُلِ مَعَ اللَّغَةِ وَحَدِّهَا فِي إِدْرَاكِ الْمَعْنَى، كَمَا أَدْرَكُوا أَنَّ اللَّغَةَ أَصَوَاتٌ مُبْهَمَةٌ إِنْ لَمْ تَقْتَرِنْ بِسِيَاقٍ مَقَامِيٍّ يُوضِّحُهَا وَيُبَيِّنُ الْمَقْصُودَ مِنْهَا، وَبِذَلِكَ تَحَوَّلَتْ عِنْدَهُمْ فِكْرَةُ السِّيَاقِ إِلَى نَظَرِيَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لَهَا خَصَائِصُهَا وَمِيزَاتُهَا وَتَطْبِيقَاتُهَا.

3. فاعلية السياق في تحديد إعراب الأداة ومعناها وتنوعيهما

3.1. أثر السياق في توجيه إعراب الأداة:

تُؤَدِّي الْأَدَاةُ وَظِيفَةَ الرِّبْطِ وَالتَّعْلِيلِ، فَهِيَ تَرْبِطُ أَجْزَاءَ الْجُمْلَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَتَدُلُّ عَلَى الْعِلَاقَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ بَيْنَهَا، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ مُتَاصِلَةً فِي الْاِفْتِقَارِ إِلَى الضَّمَانِ، وَلَا يَكْتَمِلُ مَعْنَاهَا إِلَّا بَعْدَ دُخُولِهَا فِي التَّرْكِيبِ، وَلِذَلِكَ لَا تَعِيشُ الْأَدَاةُ مُنْعَزَلَةً فِي نِظَامِ اللَّغَةِ،

بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِيبٍ تَتَأَلَّفُ وَتَنْتَظِمُ فِيهِ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الْكَلِمَاتِ، وَتَمْتَارُ الْأَدَوَاتُ بِتَعَدُّدِ مَعْنَاهَا الْوُضُوعِيَّةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَغَيَّرَ مَبْنَاهَا، فَ (ما) مَثَلًا تَكُونُ شَرْطِيَّةً وَاسْتِفْهَامِيَّةً وَمَوْصُولَةً وَمَصْدَرِيَّةً وَنَافِيَةً وَزَائِدَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُمَكِّنُ تَحْدِيدَ وَظِيفَةَ أَدَاةٍ مِنَ الْأَدَوَاتِ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِهَا فِي تَرْكِيبٍ قِيلَ فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ، وَمِنْ هُنَا دَعَا الدُّكْتُورُ مَهْدِي الْمَخْزُومِي دَعْوَةً صَادِقَةً إِلَى مُعَالَجَةِ صَحِيحَةِ لِأَسَالِبِ التَّعْبِيرِ، إِذْ قَالَ: "لَا بُدَّ مِنْ مُعَالَجَةِ لِأَسَالِبِ التَّعْبِيرِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى مَا لِلْأَدَوَاتِ مِنْ دِلَالَاتٍ أَوْ الْمَعَانِي الْعَامَّةِ الَّتِي تَقَعُ الْجُمْلُ فِي سِيَاقِهَا فِي أَثْنَاءِ تَأْدِيَتِهَا الْوُضُوعِيَّةِ الْغَوِيَّةِ مِنَ تَوْكِيدٍ وَنَفْيٍ وَاسْتِفْهَامٍ وَنَحْوِهَا"⁽⁴⁴⁾؛ لِأَنَّ تَحْدِيدَ الْوُضُوعِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ لِلْأَدَوَاتِ فِي تَرْكِيبٍ مُعَيَّنٍ يَخْدُمُهُ السِّيَاقُ اللَّغَوِيُّ وَالْمَقَامِيُّ، فَالْأَدَاةُ مَبْنَى غَامِضٌ لَا يَتَحَدَّدُ نَوْعُهَا إِلَّا فِي تَرْكِيبٍ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْمُعَرِّبُونَ أَهَمِّيَّةَ السِّيَاقِ عِنْدَ إِعْرَابِ أَدَاةٍ مِنَ الْأَدَوَاتِ، فَعِنْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى وَظِيفَتِهَا النَّحْوِيَّةِ يَمْعِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى تَقْوِيَةِ آرَائِهِمْ بِالِاسْتِدْلَالِ بِالسِّيَاقِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِوَعْمِهِمْ بِأَهَمِّيَّةِ ارْتِبَاطِ الْوُجْهِ النَّحْوِيِّ بِالْمَعْنَى، وَهَذَا يَسْتَدْعِي تَوْجِيهَ الْأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ تَوْجِيهًا خَاصًّا يَتَأَلَّفُ وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ⁽⁴⁵⁾:

وَنَحْنُ أَبَاةُ الضَّيِّمِ مِنْ آلِ مَالِكٍ وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامُ الْمَعَادِنِ

فَ (إِنْ) فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً وَإِنَّمَا هِيَ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَحُذِفَتْ مِنَ الْجُمْلَةِ اللَّامُ الْفَارِقَةُ، وَذَلِكَ بِدِلَالَةِ السِّيَاقِ، فَصَدْرُ الْبَيْتِ يَدُلُّ عَلَى الْمَدْحِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ عَجْزُ الْبَيْتِ مَدْحًا أَيْضًا، وَلِذَلِكَ تَكُونُ (إِنْ) مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَإِنْ مَالِكٌ كِرَامُ الْمَعَادِنِ⁽⁴⁶⁾.

وَ (لَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}⁽⁴⁷⁾ عِنْدَ جُمْهُورِ النُّحَاةِ زَائِدَةٌ، مُسْتَدَلِّينَ عَلَى زِيَادَتِهَا بِالسِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ، إِذْ قَدْ وَرَدَتْ آيَةٌ أُخْرَى فِي الْخِطَابِ نَفْسِهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ}⁽⁴⁸⁾، فَعَدَمُ وَرُودِ (لَا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَتِهَا فِي آيَةِ الْأَعْرَافِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّمَخَشَرِيُّ: " (لَا) فِي {إِلَّا تَسْجُدَ} صِلَةٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: {مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ}... فَإِنْ قُلْتَ: مَا قَائِدَةُ زِيَادَتِهَا؟ قُلْتَ: تَوْكِيدُ مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي تَدْخُلُ عَلَيْهِ وَتَحْقِيقُهُ كَأَنَّهُ قِيلَ... مَا مَنَّكَ أَنْ تُحَقِّقَ السُّجُودَ وَتُلْزِمَهُ نَفْسَكَ؟ إِذْ أَمَرْتُكَ؛ لِأَنَّ أَمْرِي لَكَ بِالسُّجُودِ أَوْجِبُهُ عَلَيْكَ إِجْبَابًا وَأَحْتِمُهُ عَلَيْكَ حَتْمًا لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ"⁽⁴⁹⁾.

وَقَدْ تَقَعُ الْأَدَاةُ فِي تَرْكِيبٍ تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَظِيفَةٍ نَحْوِيَّةٍ، فَيَأْخُذُ كُلُّ مُعَرِّبٍ فِي تَوْجِيهِ الْأَدَاةِ إِلَى وَظِيفَةٍ مَا مُسْتَدَلًّا عَلَى قُوَّةِ إِعْرَابِهِ بِجُزْئِيَّةٍ مِنْ أَجْزَاءِ السِّيَاقِ ظَهَرَتْ لَهُ تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَوِّيِّ لِذَلِكَ الْوُجْهِ الْإِعْرَابِيِّ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}⁽⁵⁰⁾

اِخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي تَوْجِيهِ إِعْرَابِ الْأَدَاتَيْنِ (مَا) وَ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} عَلَى أَقْوَالٍ مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: قَالَ الْخَلِيلُ: "مَا ههنا بمنزلة (أَيُّهم)، و (يعلم) مُعْلَقَةٌ"⁽⁵¹⁾، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ (مَا) اسْمُ اسْتِفْهَامٍ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ لِلْفِعْلِ (يَدْعُونَ)، وَ (مِنْ) لِلتَّبْيِينِ تَتَعَلَّقُ بِحَالٍ، وَجُمْلَةٌ (مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) فِي مَحَلِّ نَصْبٍ سَدَّتْ مَسَدً مَفْعُولِي (يعلم).

وَمَقَامُ هَذَا الْاسْتِفْهَامِ مَقَامُ التَّوْبِيخِ عَلَى هَذَا الْمَعْبُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ⁽⁵²⁾، كَمَا فِيهِ "تَعْرِضُ بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ جَوَابَ سُؤَالِ السَّائِلِ {مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، أَي: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَمِنْ عِلْمِهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ ضَرَبَ لَهُمُ الْمَثَلَ بِالْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا، وَلِلْمَعْبُودَاتِ مَثَلًا بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَأَنْتُمْ لَوْ سُئِلْتُمْ: مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَتَلَعَّمْتُمْ وَلَمْ تُجِروا جَوَابًا، فَإِنَّ شَأْنَ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَفْهَامِ السَّقِيمَةِ أَلَّا يَسْتَطِيعَ صَاحِبُهَا بَيَانَهَا بِالْقَوْلِ وَشَرْحَهَا؛ لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ تَتَأَلَّفُ مِنْ تَصْدِيقَاتٍ غَيْرِ مُتَأَلِّمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهَا تَقْرِيرَهَا فَلَا يَلْبَثُ قَلِيلًا حَتَّى يَفْتَضِحَ فَاسِدٌ مُعْتَقِدُهُ مِنْ تَعَدُّرٍ إِفْصَاحِهِ عَنْهُ"⁽⁵³⁾.

الثاني: أن (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل (يعلم)، والعائد مخدوف، والتقدير: يعلم ما يدعونه، و(من شيء) متعلّقان بحال⁽⁵⁴⁾، و(يعلم) بمعنى (يعرف) تتعدّى إلى مفعول به واحد، والمعنى: يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الأشياء، أي: يعلم حالهم وأنهم لا قدرة لهم⁽⁵⁵⁾، وفحوى الكلام تحييل لهم وتوكيد للمثل.

وهذا الوجه هو ما ذهب إليه أكثر المعريين؛ لأنه متبادر من السياق اللغوي السابق للآية، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْنَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا}⁽⁵⁶⁾.

ورد أبو عليّ الفارسيّ هذا الوجه بقوله "وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الَّتِي بِمَعْنَى عَرَفْتُهُ"⁽⁵⁷⁾، وهذا الاعتراض مستمد من السياق المقامي؛ لأنّ الله يوصف بالعلم ولا يوصف بالمعرفة، "بناءً على إثبات الفرق بين فعل (علم) وفعل (عرف) عند من فسّر المعرفة بإدراك الشيء بواسطة آثاره وخصائصه المحسوسة وأنها أضعف من العلم؛ لأنّ العلم شاع في معرفة حقائق الأشياء ونسبها... فلذلك لم يرد في الكتاب والسنة إسناد فعل المعرفة إلى الله، فكيف يسند إليه ما يؤول بمعناه"⁽⁵⁸⁾، فالمعرفة تكون بالحواس والمتكلم -وهو الله- متزّه عن الشبه بالمخلوقات، ويمكن الردّ على هذا الاعتراض بأن شبه (علم) بـ (عرف) ليس من كل الأوجه، فلا يلزم أن تكون بمعناها وإلا فلماذا عدل عن المعرفة إلى العلم؟!

الثالث: أن (ما) نافية، و(من) زائدة، و(شيء) اسم مجرور لفظاً، منصوب محلاً على أنّه مفعول به للفعل (يدعون)، وجُملة (ما يدعون من دونه من شيء) في محل نصب سدّت مسدّ مفعولي (يعلم)، والمعنى: لستم تدعون من دونه شيئاً له بال ولا قدر فيصلح أن يسئ شيئاً⁽⁵⁹⁾، فالأصنام موجودة ولكن لا نفع لها، فزُلت منزلة عدم، وفي ذلك "تحقير لأصنامهم بجعلها كالعدم لأنّها خلّو عن جميع الصفات اللائقة بالإلهية، فهي في بابها كالعدم فلما شابهت المعدومات في انتفاء الفائدة المزعومة لها استعمل لها التركيب الدالّ على نفي الوجود على طريقة التمثيلية، ولا يتوهم السامع أن المراد نفي أن يكونوا قد دعوا أولياء من دونه الله، لأنّ سياق الكلام سابقه ولاحقه يابأه... وحاصل المعنى: أن من علمه تعالى بأنّها موجودات كالعدم ضرب لها مثلاً بيّنت العنكبوت ولعبتها مثلاً بالعنكبوت الذي اتخذها، وعلى هذا الوجه فالكلام صريح في إبطال إلهية الأصنام وفي أنّها كالعدم"⁽⁶⁰⁾.

ورد أبو جعفر النحاس هذا الوجه بأن (من) لو كانت زائدة للتوكيد لأنقلب المعنى⁽⁶¹⁾، ولم يفسّر كيفية انقلاب المعنى، ويبدو أنّه أول زنادتها بأنهم لا يدعون من دونه شيئاً، وهم في حقيقة الأمر يدعون إلى عبادة الأصنام والأوثان، ويمكن الردّ عليه بأنّ المنفي إنّما هو صفة المنفعة وكان هذه الأصنام ليست شيئاً فهي كالعدم.

الرابع: أن (ما) مصدرية، و(شيء) مصدر⁽⁶²⁾، ويُعلّق السمين الحليّ على هذا الوجه قائلاً: "فيه نظر؛ إذ يصير المعنى: ويعلم دعاءكم من شيء من الدعاء"⁽⁶³⁾؛ والحديث في هذه الآية عن المعبود لا العبادة نفسها.

ومن الآيات التي يظهر فيها أثر السياق في توجيه إعراب الأداة، قوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}⁽⁶⁴⁾.

يُوجي ظاهر الآية أنّ الله أمّد فرعون وقومه بأموال وزينة من أجل إضلالهم ولذلك أخذ النحاة بتوجيه معنى الآية لينفوا هذا الظاهر عن الله سبحانه وتعالى، فذكروا فيها أوجهها، منها:

الأول: أنّ اللام لام الصبرورة والعاقبة، ونُسب هذا القول إلى الخليل وسيبويه والأخفش وأصحابهم، وأصحاب هذا الوجه استدّلوا على ذلك بأنّ الله لم يعطهم أموالاً ليضلُّوا وإنّما أعطاهم أموالاً وزينة ليؤمنوا ولكن ذلك صبرهم ضلالاً⁽⁶⁵⁾، وفي ذلك لفظة بلاغية، وهي أنّ "اللام الموضوع للتعليّل مستعارة لمعنى الترتب والتعقيب الموضوع له فاء التعقيب على طريقة الاستعارة التبعيّة

في مُتَعَلِّقٍ مَعْنَى الْحَرْفِ، فَشَبَّهَ تَرْتَّبَ الشَّيْءِ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ لَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بِتَرْتَّبٍ الْمَعْلُولِ عَلَى الْعِلَّةِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي قُوَّةِ التَّرْتَّبِ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ مَقْصُودٌ لِمَنْ ظَهَرَ عِنْدَهُ أَثَرُهُ، فَالْمَعْنَى: إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فَضَلُّوا بِذَلِكَ وَأَضَلُّوا⁽⁶⁶⁾."

الثاني: أَنَّ اللامَ لِلتَّعْلِيلِ، وَسِيَاقُ هَذَا الْوَجْهِ إِخْبَارٌ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَمَدَّهُمْ بِالزَّيْنَةِ وَالْأَمْوَالِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النِّعَمِ اسْتِذْراجاً لِيَزْدَادُوا إِنَّمَا وَضَلَالَةً⁽⁶⁷⁾، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَمْثَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: {إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}⁽⁶⁸⁾.

الثالث: أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ (لا) النَّافِيَةِ؛ وَالتَّقْدِيرُ: لِنَلَّا يُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّحَّاسُ: "حَذَفَ (لَا) كَمَا قَالَ {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا}⁽⁶⁹⁾، وَالْمَعْنَى أَلَّا تَضِلُّوا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ظَاهِرُ هَذَا الْجَوَابِ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَحذفُ (لَا) مَعَ (أَنْ)، فَمَوْهٍ صَاحِبُ هَذَا الْجَوَابِ بِقَوْلِهِ عَرَّ وَجَلَّ {أَنْ تَضِلُّوا}⁽⁷⁰⁾."

الرابع: أَنَّ اللامَ لِلدُّعَاءِ، وَالْفِعْلُ مَجْزُومٌ، رُويَ هَذَا الْقَوْلُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَتَبْنَاهُ الرَّمَخَشَرِيُّ فِي كَشَافِهِ شَارِحاً سِيَاقَهُ، وَهُوَ أَنَّ مُوسَى لَمَّا نَصَحَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَكَرَّرَ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةَ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ حِيلَةٌ فِيهِمْ وَعَلِمَ أَنَّهُمْ بَاقُونَ عَلَى الضَّلَالِ خَلَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ضَلَالِهِمْ وَدَعَا عَلَيْهِمْ كَمَا تَقُولُ: لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ، فَكَانَتْهُ قَالَ: لِيَتَّبِعُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ وَلِيَكُونُوا ضَلَالاً⁽⁷¹⁾، وَرَأَى ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمُعْنَى أَنَّ اللامَ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلدُّعَاءِ، وَأَنَّ آخِرَ الْآيَةِ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الدُّعَاءِ⁽⁷²⁾.

وَقَدْ رَدَّ أَبُو حَيَّانَ هَذَا الْوَجْهَ بِقَوْلِهِ: "وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ دُعَاءً قِرَاءَةً مِّنْ قَرَأَ {لِيضِلُّوا} بِضَمِّ الْيَاءِ، إِذْ يَبْعُدُ أَنْ يَدْعُو بِأَنْ يَكُونُوا مُضِلِّينَ غَيْرَهُمْ⁽⁷³⁾".

ويتبدَّلُ السِّياقُ فِي تَوْجِيهِ إِعْرَابِ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}⁽⁷⁴⁾

تَحْتَمِلُ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} أَوْجَهَا عِدَّةً مِنْهَا:

الأول: أَنْ تَكُونَ حَالِيَةً، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ حَالٌ، عَلَى تَقْدِيرٍ مُبْتَدَأٍ، أَيْ: وَأَنْتَ تَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ؛ لِأَنَّ الْمُضَارِعَ الْمُثَبَّتَ لَا يَقَعُ حَالاً، فَيَكُونُ تَخْرِيجُهُ كَتَخْرِيجِ: قُمْتُ وَأَصُكُ عَيْنَهُ، أَيْ: وَأَنَا أَصُكُ عَيْنَهُ⁽⁷⁵⁾، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّمَخَشَرِيُّ: "فَإِنْ قُلْتَ: الْوَاوُ فِي {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ}، {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ} مَا هِيَ؟ قُلْتَ: وَאוُ الْحَالِ، أَيْ: تَقُولُ لِرَبِّدٍ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ مُخْفِياً فِي نَفْسِكَ إِزَادَةً أَلَّا يُمَسِّكَهَا، وَتُخْفِي خَاشِئاً قَالَةَ النَّاسِ وَتَخْشَى النَّاسَ، حَقِيقاً فِي ذَلِكَ بِأَنْ تَخْشَى اللَّهَ⁽⁷⁶⁾"، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ الْكَلَامُ عِتَاباً لِلنَّبِيِّ؛ لِأَنَّهُ قَالَ كَلَاماً يُخَالِفُ مَا هُوَ مَخْفِيٌّ فِي نَفْسِهِ، وَعَلَى هَذَا يَرَى الرَّمَخَشَرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَجِبُ أَلَّا يَقُولَ لِرَبِّدٍ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ.

الثاني: أَنْ تَكُونَ حَرْفَ عَطْفٍ، وَجُمْلَةٌ (تُخْفِي) مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ (تَقُولُ)، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ: "وَجُمْلَةٌ (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةٍ {تَقُولُ}، وَالْإِثْنَانُ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ: وَتُخْفِي لِلدَّلِيلَةِ عَلَى تَكَرُّرِ إِخْفَاءِ ذَلِكَ وَعَدَمِ ذِكْرِهِ، وَالَّذِي فِي نَفْسِهِ عِلْمُهُ بِأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ زَيْنَبَ وَأَنَّ زَيْنَدًا يَطْلِقُهَا وَذَلِكَ سِرٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَيْسَ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغُهُ وَلَا مِمَّا لِلنَّاسِ فَايِدَةٍ فِي عِلْمِهِ حَتَّى يُبَلِّغُوهُ أَلَّا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يُعْلَمَ عَائِشَةُ وَلَا أَبَاهَا بِرُفُؤِ الْإِثْنَانِ الْمَلِكِ بَهَا فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا، فَمَا صَدَقَ «مَا فِي نَفْسِكَ» هُوَ التَّزَوُّجُ بِزَيْنَبَ وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي سُبِّيهِ اللَّهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَدَى ذَلِكَ فِي تَزَوُّجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَهَا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُهَا وَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَا أَخْفَاهُ فِي نَفْسِهِ أَمْراً يَصْلُحُ لِلإِظْهَارِ فِي الْخَارِجِ، أَيْ: أَنْ يَكُونَ مِنَ الصُّورِ الْمُخْسُوسَةِ⁽⁷⁷⁾".

وَيَرِدُ ابْنُ عَاشُورٍ عَلَى السِّياقِ الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّمَخَشَرِيُّ بِقَوْلِهِ: "وَلَيْسَتْ جُمْلَةٌ (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ) حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ فِي تَقُولُ كَمَا جَعَلَهُ فِي الْكَشَافِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَبْنِيٌّ عَلَى تَوْهَمٍ أَنَّ الْكَلَامَ مَسْوقٌ مَسَاقِ الْعِتَابِ عَلَى أَنْ يَقُولَ كَلَاماً يُخَالِفُ مَا هُوَ مَخْفِيٌّ فِي نَفْسِهِ

وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعْنَى، إِذْ يُفْضِي إِلَى أَنْ يَكُونَ اللَّائِقُ بِهِ (بالنبي) أَنْ يَقُولَ لَهُ (لزید) غَيْرَ ذَلِكَ وَهُوَ يُنَافِي مُفْتَضَى الْإِسْتِشَارَةِ، وَيُفْضِي إِلَى الطَّعْنِ فِي صِلَاحِيَةِ زَيْنَبَ لِلْبَقَاءِ فِي عِصْمَةِ زَيْدٍ، وَقَدْ اسْتَشْعَرَ هَذَا صَاحِبُ الْكَشَافِ، فَقَالَ: "فَإِنْ قُلْتَ فَمَاذَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ حِينَ قَالَ لَهُ زَيْدٌ: أُرِيدُ مُفَارَقَتَهَا، وَكَانَ مِنَ الْهُجْنَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: افْعَلْ فَإِنِّي أُرِيدُ نِكَاحَهَا. قُلْتَ: كَانَ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصُمْتُ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ يَقُولَ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ حَتَّى لَا يُخَالِفَ سِرَّهُ فِي ذَلِكَ عَلَانِيَتَهُ"⁽⁷⁸⁾ اهـ وَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى أَسَاسٍ كَوْنِهِ عِتَاباً⁽⁷⁹⁾."

وَقَدْ وَقَفَ الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ الْخُولِي عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَبْدَعَ فِي تَفْسِيرِ سِيَاقِهَا، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يُبْطِلَ عَادَةَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي التَّبَيِّ وَحُكْمِهَا الْمُتَمَثِّلِ فِي تَحْرِيمِ زَوْجَةِ الْمُتَبَيِّ، أَمَرَ اللَّهَ نَبِيَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ زَوْجَةً زَيْدَ الَّذِي تَبَنَّاهُ النَّبِيُّ P، فَرَوَّاجُ النَّبِيِّ مِنْ زَيْنَبَ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ، وَالتَّوَقُّعُ غَيْرُ مَعْلُومٍ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً زَيْدٍ، وَلَكِنَّ الَّذِي فَاجَأَ النَّبِيَّ P مَجِيءُ زَيْدٍ يَأْخُذُ رَأْيَهُ فِي طَلَاقِ زَيْنَبَ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَقَعُ النَّبِيُّ P بَيْنَ أَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ أَنْ يَنْصَحَ زَيْدًا بِتَعْجِيلِ الطَّلَاقِ لِيَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَدْ يَتَكَلَّمُ بَعْضُ ضَعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَرْضِ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَقَعُ النَّاسُ فِي مَخَاطِرٍ فِتْنَةٍ كَبِيرَةٍ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْصَحَهُ نَصِيحَةً تُبْعِدُ عَنْ نَفْسِهِ أَيْ شُبْهَةً؛ لِذَلِكَ اخْتَارَ النَّبِيُّ الْأَمْرَ الثَّانِي، فَقَالَ لَهُ: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} وَهُوَ الْمُنْطِقُ الطَّبَعِيُّ الْمَقْبُولُ فِي مِثْلِ هَذِهِ النَّصَائِحِ⁽⁸⁰⁾."

وَهَكَذَا تَتَبَّنُ أَهَمِّيَّةُ السِّيَاقِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ عُمُومًا وَتَوْجِيهِهِ إِعْرَابِ الْأَدَوَاتِ خُصُوصًا، فَهُوَ الْمِفْتَاحُ الْحَقِيقِيُّ لِقَبُولِ الْوَجْهِ النَّحْوِيِّ وَبِهِ يُعْرَفُ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ، وَالْوَجْهُ الْجَائِزُ مِنَ الْوَاجِبِ، وَمَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَمَا لَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ، وَهُوَ مُهِمٌّ فِي ارْتِبَاطِ الْوَجْهِ النَّحْوِيِّ بِمَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَيَعَكِّسُ مُرُونَةَ قَوَاعِدِ النُّحَاةِ وَتَوْجِيهَاتِهِمْ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُهَا قَابِلَةً لِلتَّغْيِيرِ مَعَ اخْتِلَافِ السِّيَاقَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْمَقَامِيَّةِ.

3.2. أثر السياق في بيان معاني الأدوات:

الْأَدَاةُ الْوَاحِدَةُ لَهَا مَعْنَى أَصْلِيٌّ، وَلَهَا مَعَانٍ أُخَرُ لَا تُفْهَمُ إِلَّا مِنَ السِّيَاقِ، فَالْأَدَاةُ (مِنْ) مِثْلًا لَهَا مَعْنَى أَصْلِيٌّ هُوَ ابْتِدَاءُ الْغَايَةِ، وَلَهَا مَعَانٍ أُخَرُ تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، فَقَدْ تَأْتِي لِلتَّبَعِيضِ وَبَيَانِ الْجِنْسِ وَبِمَعْنَى الْبَاءِ وَبِمَعْنَى فِي وَمُؤَافَقَةٍ عِنْدَ وَمُرَادَفَةٍ رُبَّمَا وَمُرَادَفَةٍ عَلَى وَالْفَصْلِ وَالْغَايَةِ وَالتَّنْصِيصِ عَلَى الْعُمُومِ وَتَوْكِيدِ الْعُمُومِ، وَعَلَى هَذَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ: إِنَّ الْأَدَاةَ لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مُحَدَّدٍ إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ؛ لِأَنَّ تَعَدُّدَ السِّيَاقِ الَّتِي تَقَعُ فِيهِ الْأَدَاةُ يَسْتَدْعِي التَّنَوُّعَ وَالِاتِّسَاعَ لَا الْحَصَرَ وَالتَّقْيِيدَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُوزَعِي: "إِنَّ الْحُرُوفَ جَاءَتْ لِمَعَانٍ فِي غَيْرِهَا لَا فِي نَفْسِهَا وَلِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا مَعَانٍ مَخْصُوصَةٌ مَوْضُوعَةٌ لَهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَعَانِي الْحُرُوفِ وَالْأَفْعَالِ تُسْتَفَادُ مِنْ مَقَاصِدِ الْكَلَامِ وَمَوَارِدِ الْخِطَابِ وَتَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ"⁽⁸¹⁾."

وَقَدْ تَقَعُ الْأَدَاةُ فِي تَرْكِيبٍ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَ مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْمَعَانِي لِذِلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى أَدَاةِ الْاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ جَرِيرٍ⁽⁸²⁾:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ

التَّفْقِيرُ لَا الْإِبْطَالُ كَمَا ذَهَبَ ابْنُ هِشَامٍ⁽⁸³⁾، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُوزَعِي زِدًا عَلَى ابْنِ هِشَامٍ: "وَهَذَا غَفْلَةٌ مِنْهُ وَسَهْوٌ، فَإِنَّ مَعْنَى الْهَمْزَةِ فِي ذَلِكَ التَّفْقِيرُ إِذِ الْمُخَاطَبُ بِالْمَدْحِ لَا يُنْكَرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَا يَفْتَضِي النَّفْيَ لِفَضْلِهِمْ حَتَّى يُنْكَرَهُ الشَّاعِرُ وَيَبْطُلَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّفْقِيرَ وَحَمْلَهُمْ عَلَى الْإِفْرَارِ بِمَا قَالَهُ لَهُمْ"⁽⁸⁴⁾، فَالسِّيَاقُ يَفْتَضِي التَّفْقِيرَ لَا الْإِبْطَالُ؛ إِذْ لَا مُنْكَرَ لِهَذَا الْفَضْلِ، وَالْمُخَاطَبُ بِالْمَدْحِ لَا يُنْكَرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ.

وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَثَرِ السِّيَاقِ فِي تَوْجِيهِهِ مَعَانِي الْأَدَوَاتِ تَوْجِيهِهُ مَعْنَى التَّوَقُّعِ وَالتَّرَجِّي فِي (لَعَلَّ) الْوَاقِعِ فِي خِطَابِ اللَّهِ إِلَى الْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ فِي حَقِّ اللَّهِ الرَّجَاءَ وَالتَّوَقُّعَ، يَقُولُ ابْنُ فَلَاحٍ: "وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّوَقُّعَ وَالرَّجَاءَ مِنَ الْبَارِي جَلَّتْ عَظَمَتُهُ مُسْتَحِيلٌ؛ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَمَّا جُهِلَتْ عَاقِبَتُهُ وَإِنَّمَا يَتَصَوَّرُ مِمَّنْ يَجْهَلُ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ، وَأَمَّا الْبَارِي فَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْمَعْلُومَاتِ كُلِّهَا، فَلَا يَتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ الرَّجَاءَ

والتَّوَقُّعُ، فَإِذَا وَرَدَتْ فِي التَّنْزِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (85)، {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} (86)، {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (87) اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ سِيبَوَيْهِ: إِنَّ الرِّجَاءَ والتَّوَقُّعَ يَرْجِعُ إِلَى مَنْ تَعَلَّقَتْ بِهِمْ وَهُمْ الْمُخَاطَبُونَ... وَقَالَ قُطْرُبٌ وَأَبُو عَلِيٍّ: إِنَّ مَعْنَاهَا التَّغْلِيلُ، وَبُرِّدُ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلتَّغْلِيلِ فِي مِثْلِ {الْعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} (88).

وَقَدْ تَفَعُّ الأداة فِي تَرْكِيبِ تَحْتِمِلِ أَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى، فَيَأْخُذُ كُلُّ مُعَرِّبٍ فِي تَوْجِيهِ الأداة إِلَى مَعْنَى مَا مُسْتَدِلًّا عَلَى قُوَّةِ مَعْنَاهُ بِجُزْئِيَّةٍ مِنْ أَجْزَاءِ السِّيَاقِ ظَهَرَتْ لَهُ تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُقْوَى لِدَلِّكَ الْمَعْنَى، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} (89) اخْتَلَفَ النُّحَوِيُّونَ فِي مَعْنَى (أَوْ) اخْتِلَافاً أَفْضَى إِلَى تَعَدُّدِ مَعَانِي الأداة وَمَدَى قُدْرَتِهَا عَلَى الانْسِجَامِ مَعَ سِيَاقَاتٍ عِدَّةٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي:

الأول: أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَى (بَل)، وَقَدْ ذَهَبَ الْفَرَاءُ هَذَا الْمَذْهَبَ مُسْتَدِلًّا عَلَى ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ السِّيَاقِ، أَحَدُهَا: أَنَّ (أَوْ) لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَعْنَاهَا الَّذِي هُوَ الشَّكُّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَشْكُ (90)، وَثَانِيهَا: أَنَّ الْعَرَبَ يَجْعَلُونَهَا عَلَى جِهَةِ (بَل) إِذَا وَقَعَتْ فِي سِيَاقٍ لَا يُرَادُ أَحَدُ الشَّيْنَيْنِ، وَيُمَثِّلُ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ: اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ أَوْ دَعْ ذَلِكَ فَلَا تَبْرَحِ الْيَوْمَ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ رَجَعَ عَنْ أَمْرِهِ الْأَوَّلِ (91)، وَثَالِثُهَا: أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَى (بَل) جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ مَعَ صَحِّحَتِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ (92)، فَقَدْ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيمَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدِهِ عَنْهُ أَنَّهُ "قَالَ: بَلْ يَزِيدُونَ، كَانُوا مِئَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا" (93).

الثاني: أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَى (الْوَاوِ)؛ لِأَنَّهَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَعْنَاهَا لِلشَّكِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَشْكُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (بَل) الَّتِي لِيَتَذَكَّرُ كَلَامٍ غُلِطَ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِهَذَا، يَقُولُ الْأَخْفَشُ: "وَمَخْرَجُهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنَّكَ تَقُولُ: "لَا تَجَالِسْ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا" فَإِنْ أَتَى وَاحِدًا مِنْهُمْ أَوْ كُلَّهُمْ كَانَ عَاصِيًا. كَمَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: "اجْلِسْ إِلَى فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ، فَجَلَسَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَوْ كُلِّهِمْ كَانَ مُطِيعًا. فَهَذَا مَخْرَجُهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، وَارَى الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّمَا (أَوْ) بِمَنْزِلَةِ (الْوَاوِ) إِنَّمَا قَالُوا: لَا تُنْهَى رَأُوهَا فِي مَعْنَاهَا، وَأَمَّا {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} فَإِنَّمَا يَقُولُ {أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ} عِنْدَ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ {أَوْ يَزِيدُونَ} عِنْدَ النَّاسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَكُونُ مِنْهُ شَكٌّ" (94).

وَرَدَّ النُّحَاسُ رَأْيَ الْفَرَاءِ الذَّاهِبَ إِلَى أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَى (بَل)، وَأَنْكَرَ أَيْضاً رَأْيَ الْأَخْفَشِ الذَّاهِبَ إِلَى أَنَّهَا بِمَعْنَى (الْوَاوِ) مُسْتَدِلًّا عَلَى السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ وَالْمَقَامِيِّ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ: "وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى {أَوْ يَزِيدُونَ} وَقَوْلَ الْفَرَاءِ أَنَّهَا بِمَعْنَى (بَل)، وَقَوْلَ غَيْرِهِ أَنَّهَا بِمَعْنَى (الْوَاوِ)، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ هَذَانِ الْقَوْلَانِ؛ لِأَنَّ (بَل) لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِهَا؛ لِأَنَّهَا لِلْإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِجَابِ لِمَا بَعْدَهُ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ الْخُرُوجِ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ، وَالْوَاوُ مَعْنَاهَا خِلَافَ مَعْنَى (أَوْ)، فَلَوْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى الْأُخْرَى لَبْطَلَتْ الْمَعْنَى، وَلَوْ جَارَ ذَلِكَ لَكَانَ {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ} أَخْصَرَ" (95).

الثالث: أَنَّهَا بَاقِيَةٌ عَلَى مَعْنَاهَا فِيهِ بِمَعْنَى الشَّكِّ، وَلَكِنَّهُ شَكٌّ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ، وَمَعْنَاهُ: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى جَمَاعَةٍ لَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ لَقُلْتُمْ: هُمْ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرُ، وَإِنَّمَا خُوطِبَ الْعِبَادُ عَلَى مَا تُعْرِفُونَ" (96)، بِمَعْنَى أَنَّ الشَّكَّ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ، فَالرَّائِي يَشْكُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ فِي مِقْدَارِ عَدَدِهِمْ، فَإِذَا رَأَاهُمْ أَحَدٌ مِنَ الرَّائِينَ قَالَ: مِئَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ.

الرابع: الإِبْهَامُ "كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو، وَأَنْتَ تَعْرِفُ مَنْ جَاءَكَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنَّكَ أَبْهَمْتَ عَلَى الْمُخَاطَبِ" (97)، بِمَعْنَى أَنَّ الإِبْهَامَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبْهَمَ أَمْرَهُمْ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ.

الخامس: الإِبَاحَةُ (98) بِمَعْنَى أَنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهِمْ يُبَاحُ لَهُ أَنْ يَحْزِرَهُمْ بِهَذَا الْقَدَرِ، أَوْ بِهَذَا الْقَدَرِ، وَفِي الْحَالَيْنِ هُوَ صَادِقٌ؛ لِأَنَّهُ أُبِيحَ لَهُ ذَلِكَ.

وَعَلَى هَذَا يَبْدُو أَنَّ اخْتِلَافَ مَعْنَى الْأَدَاةِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَرْجِعُهُ إِلَى وَقُوعِهَا فِي تَرْكِيبٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْتَمَلَ سِيَاقَاتٍ عِدَّةَ، وَهَذَا يَتِيحُ لِلآيَةِ أَنْ تَنْفَتَحَ عَلَى دَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ تُوحِي بِمَدَى مَرُونَةِ قَوَاعِدِ النُّحَاةِ فِي حَمْلِ سِيَاقَاتٍ عِدَّةَ لِيَتِمَّكَنَ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْ مَعَانِيهِ وَأَعْرَاضِهِ.

وَمِنْ الشَّوَاهِدِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَثَرِ السِّيَاقِ فِي تَعَدُّدِ مَعَانِي الْأَدَاةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} (99)

اختلف النُّحَاةُ فِي مَعْنَى الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ (بِعَذَابٍ) عَلَى أَوْجُهٍ:

الأول: أَنَّ الْبَاءَ عَلَى مَعْنَاهَا، فَهِيَ لِلإِلصَاقِ الْمَعْنَوِيِّ، وَالْفِعْلُ (سَأَلَ) بِمَعْنَى (دَعَا)، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النُّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، إِذْ قَالَ كَمَا عَبَّرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (100)، وَقَدْ قَالَهَا اسْتِهْزَاءً وَإِنْكَاراً مِنْهُ، فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ (101)، وَلِذَلِكَ خَرَجَ مَعْنَى السُّؤَالِ إِلَى الدَّعَاءِ؛ وَهَذَا مَا دَفَعَ الْفِرَاءَ إِلَى تَقْدِيرِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: "دَعَا دَاعٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ" (102).

الثاني: أَنَّ الْبَاءَ بِمَعْنَى (عَنْ)، وَالْفِعْلُ (سَأَلَ) بَقِيَ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: "أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} فَقَالُوا لِمَنْ هُوَ عَلَى مَنْ يَقَعُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} (103)".

الثالث: أَنَّ الْبَاءَ لِلتَّعْدِيَةِ، وَالْفِعْلُ (سَأَلَ) بِمَعْنَى (اسْتَعْجَلَ)، أَي: اسْتَعْجَلَ السَّائِلُ اللَّهَ بِالْعَذَابِ (104).

وَيُشِيرُ الْبَحْثُ هُنَا إِلَى أَنَّ النَّحْوَ، وَإِنْ كَانَ يَتَنَاوَلُ الْأَدَوَاتِ مِنْ حَيْثُ عَمَلُهَا وَإِعْرَابُهَا، لَا يَبْحَثُ فِي الْأَلْفَاظِ خَالِيَةً مِنْ مَعَانِيهَا، وَلِذَلِكَ نَرَى أَنَّ الْمَعْرِبِينَ اهْتَمُّوا بِالنَّظَرِ فِي الْأَدَوَاتِ وَحَرَصُوا عَلَى إِبْرَارِ مَعَانِيهَا وَأَشَارُوا إِلَى خُرُوجِهَا عَنْ الْمَعْنَايِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي وَضَعَتْ لَهَا إِلَى مَعَانٍ تُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ، وَنَهَوْا عَلَى اخْتِمَالِ تَعَدُّدِ مَعَانِي الْأَدَاةِ الْوَاحِدَةِ بِتَعَدُّدِ النَّظَرِ إِلَى السِّيَاقَاتِ الْمُحْتَمَلَةِ، وَهَذَا مَا فَتَحَ الْبَابَ وَاسِعاً أَمَامَ غَيِّ دَلَالِيٍّ وَتَأْوِيلَاتٍ كُلُّهَا مُخْتَمَلَةٍ لِسِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تُسَاعِدُ الْمُتَكَلِّمَ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ أَدَقِّ مَعَانِيهِ وَتَفَاصِيلِ مَشَاعِرِهِ.

4. الخاتمة:

بَدَتْ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ السِّيَاقِ وَالْمَعْنَى عِلَاقَةً وَثِيقَةً، فَالسِّيَاقُ هُوَ قَرِينَةُ تُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الْمَعْنَى وَإِضْاحِهِ، مِنْ خِلَالِ كَوْنِهِ مَجْمُوعَ الْقِرَائِنِ الْمَقَالِيَّةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنَ النَّصِّ، وَالْمَقَامِيَّةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ خَارِجِ النَّصِّ.

وَقَدْ كَانَ النُّحَاةُ عَلَى وَعْيٍ تَامٍ بِالسِّيَاقِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَأَدَقِّ أَجْزَائِهِ، فَقَدْ أَدْرَكُوا أَهَمِّيَّتَهُ فِي التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَدِّمَهُ لَهُمْ مِنْ إِطْرَافٍ لِلْقَاعِدَةِ وَبَيَانٍ لِلْمَعْنَى، وَعَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ اسْتِخْدَامُ النُّحَاةِ لِلْسِّيَاقِ أَقَلَّ مِنْ اسْتِخْدَامِ الْبَلَاغِيِّينَ لَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِخْدَامُ النُّحَاةِ لِلْسِّيَاقِ فِي تَحْلِيلَاتِهِمْ لِلْبَيِّنِ النَّحْوِيَّةِ لِلْجُمْلَةِ فِي حِينٍ كَانَ اسْتِخْدَامُ الْبَلَاغِيِّينَ لِلْسِّيَاقِ فِي بَيَانِ الدَّلَالَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ، فَلِكُلِّ عَمَلٍ، وَمَعَ هَذَا نَرَى تَرَاجُعاً لِسُخْطِ السِّيَاقِ عِنْدَ النُّحَاةِ الْمُتَأَخِّرِينَ؛ لِأَنَّ الْعِنَايَةَ بِالنَّحْوِ أَصْبَحَتْ يَهْدَفُ تَعْلِيلِيٍّ، وَلِهَذَا الْمَرْحَلَةُ خَصَّاصُهَا وَأُسْلُوبُهَا.

أَمَّا السِّيَاقُ عِنْدَ الْعَرَبِ فَقَدْ بَدَأَ النَّظَرُ إِلَيْهِ حِينَ أَشَارَ دِي سَوَسِيرُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى السِّيَاقِ الْمَقَامِيِّ، وَقَدْ أَدْرَكَ مَالِينُوفْسكي أَهَمِّيَّةَ السِّيَاقِ الْمَقَامِيِّ فِي فَهْمِ السِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ وَلَكِنَّ السِّيَاقَ لَمْ يَظْهَرْ بِشَكْلِ نَظَرِيٍّ لَهَا خَصَّاصُهَا إِلَّا عَلَى يَدِ الْعَالِمِ الْإِنْكَلِيزِيِّ فِيرْتِ الَّذِي جَعَلَ لَهَا مَبَادِيءَ يَجِبُ عَلَى الْمُحَلِّلِ اتِّبَاعُهَا.

وَظَهَرَ فِي هَذَا الْبَحْثِ أَنَّ تَحْدِيدَ الْوُضُفَةِ النَّحْوِيَّةِ لِلْأَدَوَاتِ فِي تَرْكِيبٍ مُعَيَّنٍ يَخْدُمُهُ السِّيَاقُ اللَّغَوِيُّ وَالْمَقَامِيُّ، فَالْأَدَاةُ مَبْنَى غَامِضٌ لَا يَتَحَدَّدُ نَوْعُهَا إِلَّا فِي تَرْكِيبٍ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْمَعْرِبُونَ أَهَمِّيَّةَ السِّيَاقِ عِنْدَ إِعْرَابِ أَدَاةٍ مِنَ الْأَدَوَاتِ، فَعِنْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى وَضُفَتِهَا

النَّحْوِيَّةُ يَعْمَدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى تَقْوِيَةِ آرائِهِمْ بِالِاسْتِدْلَالِ بِالسِّيَاقِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِوَعْيِهِمْ بِأَهَمِّيَّةِ ارْتِبَاطِ الْوَجْهِ النَّحْوِيِّ بِالْمَعْنَى، وَهَذَا يَسْتَدْعِي تَوْجِيهَ الْأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ تَوْجِيهاً خَاصاً يَتَلَاءَمُ وَالْمَعْنَى الْمَرَادَ، وَقَدْ تَقَعَّ الْأَدَاةُ فِي تَرْكِيبٍ تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَظِيفَةٍ نَحْوِيَّةٍ، فَيَأْخُذُ كُلُّ مُعَرِّبٍ فِي تَوْجِيهِ الْأَدَاةِ إِلَى وَظِيفَةٍ مَا مُسْتَدَلّاً عَلَى قُوَّةِ إِعْرَابِهِ بِجُرْئِيَّةٍ مِنْ أَجْزَاءِ السِّيَاقِ ظَهَرَتْ لَهُ تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُقْوِي لِذَلِكَ الْوَجْهِ الْإِعْرَابِيِّ.

وَبَيَّنَ الْبَحْثُ أَهَمِّيَّةَ السِّيَاقِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ عُمُوماً وَتَوْجِيهِ إِعْرَابِ الْأَدَوَاتِ خُصُوصاً، فَهُوَ الْمَقْيَاسُ الْحَقِيقِيُّ لِقَبُولِ الْوَجْهِ النَّحْوِيِّ وَبِهِ يُعْرَفُ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ، وَالْوَجْهُ الْجَائِزُ مِنَ الْوَاجِبِ، وَمَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدُ وَمَا لَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدُ، وَهُوَ مُهِمٌّ فِي ارْتِبَاطِ الْوَجْهِ النَّحْوِيِّ بِمَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَيَعَكْسُ مُرُونَةَ قَوَاعِدِ النُّحَاةِ وَتَوْجِيهَاتِهِمْ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُهَا قَابِلَةً لِلتَّغْيِيرِ مَعَ اخْتِلَافِ السِّيَاقَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْمَقَامِيَّةِ.

كَمَا اتَّضَحَ أَنَّ الْأَدَاةَ لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مُحَدَّدٍ إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ؛ لِأَنَّ تَعَدُّدَ السِّيَاقِ يَسْتَدْعِي التَّنَوُّعَ وَالِاتِّسَاعَ لَا الْحَصَرَ وَالتَّقْيِيدَ، وَقَدْ تَقَعَّ الْأَدَاةُ فِي تَرْكِيبٍ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَ مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْمَعَانِي لِذِلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَقَعَّ الْأَدَاةُ فِي تَرْكِيبٍ تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى، فَيَأْخُذُ كُلُّ مُعَرِّبٍ فِي تَوْجِيهِ الْأَدَاةِ إِلَى مَعْنَى مَا مُسْتَدَلّاً عَلَى قُوَّةِ مَعْنَاهُ بِجُرْئِيَّةٍ مِنْ أَجْزَاءِ السِّيَاقِ ظَهَرَتْ لَهُ تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُقْوِي لِذَلِكَ الْمَعْنَى.

وعلى هذا بدا أَنَّ النَّحْوَ، وَإِنْ كَانَ يَتَنَاوَلُ الْأَدَوَاتِ مِنْ حَيْثُ عَمَلُهَا وَإِعْرَابُهَا، لَا يَبْحَثُ فِي الْأَلْفَاظِ خَالِيَةً مِنْ مَعَانِيهَا، وَلِذَلِكَ نَرَى أَنَّ الْمَعْرِبِينَ اهْتَمُّوا بِالنَّظَرِ فِي الْأَدَوَاتِ وَحَرَّصُوا عَلَى إِبْرَازِ مَعَانِيهَا وَأَشَارُوا إِلَى خُرُوجِهَا عَنِ الْمَعَانِي الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا إِلَى مَعَانٍ تُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ، وَنَهَوْا عَلَى اخْتِمَالِ تَعَدُّدِ مَعَانِي الْأَدَاةِ الْوَاحِدَةِ بِتَعَدُّدِ النَّظَرِ إِلَى السِّيَاقَاتِ الْمُحْتَمِلَةِ، وَهَذَا مَا فَتَحَ الْبَابَ وَاسِعاً أَمَامَ غَيِّ دِلَالِيٍّ وَتَأْوِيلَاتٍ كُلِّهَا مُحْتَمِلَةٍ لِسِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تُسَاعِدُ الْمُتَكَلِّمَ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنْ أَدَقِّ مَعَانِيهِ وَتَفَاصِيلِ مَشَاعِرِهِ.

5. قائمة المراجع:

- الْأَخْفَش، سَعْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، مَعَانِي الْقُرْآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - مطبعة المدني، ط1، القاهرة، 1411هـ-1990م.
- الْأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّينِ بْنُ هِشَامٍ، مُعْنَى اللَّيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعْرَابِ، تح: مَازِنُ الْمُبَارَكِ-مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ حَمْدُ اللَّهِ، مُرَاجَعَةٌ سَعِيدُ الْأَفْغَانِي، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت-لَبْنَان، 1432هـ-2010م.
- أولمان، ستيفين، دور الكلمة في اللغة، ترجمة محمد كامل بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت.
- الْبُخْتَرِيُّ، الْوَلِيدُ بْنُ عَبِيدٍ، الدِّيَوَانُ، تح: حَسَنُ كَامِلُ الصَّبْرِي، دَارُ الْمَعَارِفِ، ط3، مِصْر، 1964م.
- الْبِرْكَوَي، عَبْدُ الْفَتَّاحِ، دِلَالَةُ السِّيَاقِ بَيْنَ التَّرَاثِ وَعِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ، دَارُ الْمَنَارَةِ، ط1، الْقَاهِرَةِ، 1411هـ.
- الْبُعْلَبُكِي، د. رَمْزِي، مَعْجَمُ الْمَصْطَلَحَاتِ اللَّغَوِيَّةِ، دَارُ الْمَلَايِينِ، بَيْرُوت، 1990م.
- الْجُرْجَانِيُّ، عَبْدُ الْقَاهِرِ، دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ، تح: مُحَمَّدُ التَّنْجِي، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، ط1، بَيْرُوت، 1995م.
- جَرِيرٌ، ابْنُ عَطِيَّةٍ، الدِّيَوَانُ، شَرَحَ مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ الصَّاوِي، مَطْبَعَةُ الصَّاوِي، مِصْر، 1353هـ.
- ابْنُ جَنِّي، أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ، الْخَصَائِصُ، تح: مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ النَّجَّارُ، عَالَمُ الْكُتُبِ، ط2، بَيْرُوت، د. ت.

- الحَلَبِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ، الدُّرُّ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، تح: أحمد محمد الخِرَاط، ط2، دار القلم، دمشق، 1424هـ-2003م.
- أَبُو حَيَّان، أَثِيرُ الدِّينِ، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، تح: الشَّيْخُ عَادِلُ أَحْمَدَ عَبْدُ الْمَوْجُودِ _ الشَّيْخُ عَلِيُّ مُحَمَّدَ مَعْوُضَ، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان _ بيروت، 1422هـ _ 2001م.
- الْخَوْلِيُّ، د. إِبْرَاهِيمُ، مُقْتَصَى الْحَالِ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ الْقَدِيمَةِ وَالتَّقْدِ الْحَدِيثِ، دَارُ الْبَصَائِرِ، ط1، 1428هـ _ 2007م.
- دي سوسير، فردينان، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي وزميليه، تونس، الدار العربية للكتاب، 1985م.
- الرَّجَّاجُ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ، معاني القرآن وإعرابه، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1408هـ-1988م.
- الرَّمَخْسَرِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ وَعَيُونِ الْأَقَاوِيلِ فِي وُجُوهِ التَّأْوِيلِ، تح: عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْمِهْدِيُّ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، ط2، بيروت، 1421هـ-2001م.
- سَيَبَوِيهِ، عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، الْكِتَابُ، تح: عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونُ، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1408هـ-1988م.
- الشَّهْرِيُّ، د. نوح، أثر السياق في النظام النحوي، دار طيبة الخضراء، ط1، جدة، 1441هـ-2020م.
- صَحْرَاوِيّ، د. مسعود، التَّدَاوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ: دِرَاسَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ لظَاهِرَةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ فِي التُّرَاثِ اللَّسَانِيِّ الْعَرَبِيِّ، دَارُ الطَّلِيْعَةِ، ط1، بَيْرُوتُ، 2005م.
- الطَّبْرِي، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1420هـ-1998م.
- الطَّرِمَاحُ، الدِّيَوَانُ، تح: د. عِزَّةُ حَسَنَ، دَارُ الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ، ط2، حلب-سورية، 1414هـ-1994م.
- الطَّلحي، د. ردة الله، دلالة السياق، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1423م.
- ابْنُ عَاشُورَ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، 1997م.
- عَبْدُ اللَّطِيفِ، د. مُحَمَّدُ حَمَّاسَةُ، النَّخْوُ وَالِدَلَالَةُ: مَدْخَلٌ لِدِرَاسَةِ الْمَعْنَى النَّحْوِيَّةِ الدِّلَالِيَّةِ، دَارُ الشُّرُوقِ، ط1، 1420هـ-2000م.
- العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: سعد كُرَيْمُ الْفَقِي، دار اليقين، ط1، مصر، 1422هـ-2001م.
- الْغَلَّابِيُّ، مَصْطَفَى، جَامِعُ الدُّرُوسِ الْعَرَبِيَّةِ، عِنَايَةُ: د. كوكب ديب دياب، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، طرابلس-لبنان، 2004م.
- الْفَارِسِيُّ، أَبُو عَلِيٍّ، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: د. عوض بن حمد القوزي، ط1، 1410هـ - 1990م.
- الْفُرَّاءُ، يَحْيَى بْنُ زِيَادَ، مَعَانِي الْقُرْآنِ، تح: أَحْمَدُ يُوسُفُ نَجَاتِي- مُحَمَّدَ عَلِيَّ نَجَارَ- عَبْدُ الْفَتَّاحِ إِسْمَاعِيلُ شَلبي، دَارُ الْكُتُبِ الْمَصْرِئَةِ، ط3، مصر، 1422هـ _ 2001م.
- الْفَرَاهِيدِيُّ، الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، الْجَمَلُ فِي النَّحْوِ، تح: فَخْرُ الدِّينِ قَبَاوَةَ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، ط1، بَيْرُوتُ، 1405هـ-1985م.

- ابن فلاح، المغني في النحو، تح: عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000م.
- فندريس، جوزيف، اللغة، تَعْرِيبُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الدَّوَالِي-مُحَمَّدُ الْقَصَّاص، مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمِصْرِيَّة، مَطْبَعَةُ لَجْنَةِ الْبَيَّانِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَة، 1370هـ-1950م.
- لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1987م.
- لطفي، مصطفى، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976م.
- الْمُبَرِّد، أَبُو الْعَبَّاس، الْكَامِلُ فِي الْلُغَةِ وَالْأَدَبِ، تح: مُحَمَّدُ أَبُو الْقَضَلِ إِبْرَاهِيم، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، ط3، الْقَاهِرَة، 1417هـ-1997م.
- الْمُبَرِّد، أَبُو الْعَبَّاس، الْمُقْتَضِب، تح: مُحَمَّدُ عَبْدُ الْخَالِقِ عَضِيمَة، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1399هـ-1979م.
- محمود، د. المثنى، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 1429هـ.
- المخزومي، د. مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، لبنان-بيروت، 1406هـ-1986م.
- المطيري، عبد الرحمن، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير (رسالة ماجستير)، إشراف: د. خالد القرشي، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ-2008م.
- ابْنُ مَنْظُور، مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَم، لِسَانُ الْعَرَبِ، دَارُ صَادِر، ط1، بيروت، 1414هـ.
- الموزعي، ابن نور الدين، مصابيح المغاني في حروف المعاني، تح: عائش بن نافع العمري، دار المنار، القاهرة، 1993م.
- الْمُؤَسَّس، د. نَهَاد، الْأَعْرَافُ أَوْ نَحْوُ الْإِسَانِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، الْمَجَلَّةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ الْلُغَوِيَّةِ، الْمَجْلَدُ الرَّابِعُ، الْعَدَدُ الْأَوَّلُ، 1985م.
- الْمُؤَسَّس، د. نَهَاد، نَظَرِيَّةُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِي ضَوْءِ مَنَاحِجِ النَّظَرِ الْلُغَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، الْمُؤَسَّسَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلدِّرَاسَةِ وَالنَّشْرِ، ط1، 1980م.
- النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، تح: زُهَيْرُ غَازِي زَاهِد، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، ط2، 1405هـ-1985م.
- النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، تح: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَلِي الصَّابُونِي، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1408هـ-1988م.
- نَهْر، د. هَادِي، عِلْمُ الدَّلَالَةِ التَّطْبِيقِي فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، تَقْدِيم: أ. د. عَلِي الْحَمْد، دَارُ الْأَمَلِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، ط1، الْأُرْدُن، 1427هـ-2007م.

6. هوامش البحث:

(1) انظر: ابن مَنْظُور، مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَم، لِسَانُ الْعَرَبِ، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ، مادة (سوق).

(2) انظر: البعلبكي، د. رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، دار الملايين، بيروت، 1990م، ص119.

- (3) المطيري، عبد الرحمن، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير (رسالة ماجستير)، إشراف: د. خالد القرشي، جامعة أم القرى، السعودية، 1429هـ-2008م، ص71.
- (4) محمود، د. المثنى، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 1429هـ، ص15.
- (5) انظر: البركاوي، عبد الفتاح، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنارة، ط1، القاهرة، 1411هـ، ص45.
- (6) الشهري، د. نوح، أثر السياق في النظام النحوي، دار طيبة الخضراء، ط1، جدة، 1441هـ-2020م، ص109.
- (7) انظر: الطلحي، د. ردة الله، دلالة السياق، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1423م، ص50-51.
- (8) انظر: المؤتى، د. نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، بيروت، 1980م، ص92.
- (9) البقرة: 2/135.
- (10) البقرة: 2/135.
- (11) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1408هـ-1988م، ج1، ص257.
- (12) المرجع السابق، ج2، ص81.
- (13) انظر: نهر، د. هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تقديم: أ. د: علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1427هـ-2007م، ص286.
- (14) الحجر: 3/15.
- (15) فصلت: 40/41.
- (16) الكهف: 29/18.
- (17) الأنعام: 91/6.
- (18) المبرّد، أبو العباس، المفتّض، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1399هـ-1979م، ج2، ص86.
- (19) المرجع السابق، ج4، ص204.
- (20) المرجع السابق، ج2، ص132.
- (21) انظر: المؤتى، د. نهاد، الأغراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الأول، 1985م، ص135-156.
- (22) اختلف في نسبته، وينسب إلى أبي محلم السعدي. انظر: المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، 1417هـ-1997م، ج1، ص34.
- (23) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، ط2، بيروت، د.ت، ج1، ص245-246.
- (24) البقرة: 2/65.
- (25) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، ص159.
- (26) صحرأوي، د. مسعود، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2005م، ص174.
- (27) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1995م، ص77.

- (28) المرجع السابق، ص 82.
- (29) عَبْدُ اللَّطِيفِ، د. مُحَمَّدَ حَمَّاسَةَ، النَّحْوُ وَالِدَّلَالَةُ: مَدْخَلُ لِدِرَاسَةِ الْمَعْنَى النَّحْوِيِّ الدَّلَالِي، دَارُ الشُّرُوقِ، ط 1، 1420 هـ-2000 م، ص 105.
- (30) الْبُخْتَرِيُّ، الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ، الدِّيَوَانُ، تَح: حَسَنُ كَامِلُ الصَّيْرِي، دَارُ الْمَعَارِفِ، ط 3، مِصْرُ، 1964 م، ج 3، ص 1657.
- (31) الْجُرْجَانِيُّ، عَبْدُ الْقَاهِرِ، دَلَالَةُ الْإِعْجَازِ، ص 126-127.
- (32) صَحْرَاوِي، د. مسعود، التَّدَاوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ، ص 200.
- (33) رَأَى الطَّلَحِي أَنَّ السِّيَاقَ لَيْسَ مَطْلَبًا نَحْوِيًّا مِلْحًا فِي ظِلِّ فِكْرَةِ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ وَالْأَثَرِ، وَأَنَّ غَيْرَ النِّحَاةِ كَانُوا أَكْثَرَ وَعِيًّا وَتَقْدِيرًا لِلْسِّيَاقِ وَلَأَهْمِيَّتِهِ. انظر: الطَّلَحِي، رَدَةُ اللَّهِ، دَلَالَةُ السِّيَاقِ، ص 78.
- (34) انظر: عَبْدُ اللَّطِيفِ، د. مُحَمَّدَ حَمَّاسَةَ، النَّحْوُ وَالِدَّلَالَةُ: مَدْخَلُ لِدِرَاسَةِ الْمَعْنَى النَّحْوِيِّ الدَّلَالِي، ص 114.
- (35) انظر: الطَّلَحِي، د. رَدَةُ اللَّهِ، دَلَالَةُ السِّيَاقِ، ص 173.
- (36) دِي سَوَسِير، فَرْدِينَان، دُرُوسُ فِي الْأَلْسِنِيَّةِ الْعَامَةِ، تَرْجَمَةُ: صَالِحُ الْقِرْمَادِي وَزَمِيلِيهِ، تُونِس، الدَّارُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْكِتَابِ، 1985 م، ص 188.
- (37) فَنْدَرِيْس، جَوَزِيْف، اللُّغَةُ، تَعْرِيبُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الدَّوَاخِلِي-مُحَمَّدُ الْقَصَّاصُ، مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمِصْرِيَّةِ، مَطْبَعَةُ لَجْنَةِ الْبَيَّانِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَةُ، 1370 هـ-1950 م، ص 228.
- (38) الْبِرْكَوَاي، عَبْدُ الْفَتَّاحِ، دَلَالَةُ السِّيَاقِ بَيْنَ التَّرَاثِ وَعِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ، ص 48.
- (39) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ، ص 48.
- (40) لَطْفِي، مَصْطَفَى، اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي إِطَارِهَا الْاجْتِمَاعِي، مَعْهَدُ الْإِنْمَاءِ الْعَرَبِي، بِيْرُوت، 1976 م، ص 32.
- (41) الْبِرْكَوَاي، عَبْدُ الْفَتَّاحِ، دَلَالَةُ السِّيَاقِ بَيْنَ التَّرَاثِ وَعِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ، ص 50 وما بعدها.
- (42) أُولْمَان، سَتِيْفِين، دُورُ الْكَلِمَةِ فِي اللُّغَةِ، تَرْجَمَةُ مُحَمَّدٍ كَامِلٍ بِشْر، مَكْتَبَةُ الشَّبَابِ، الْقَاهِرَةُ، د. ت، ص 57 وما بعدها.
- (43) لَايْنَز، جُون، اللُّغَةُ وَالْمَعْنَى وَالسِّيَاقِ، تَرْجَمَةُ: عَبَّاسُ صَادِقُ الْوَهَّابِ، دَارُ الشُّؤُونِ الثَّقَافِيَّةِ الْعَامَةِ، ط 1، بَغْدَاد، 1987 م، ص 133.
- (44) الْمَخْزُومِي، د. مَهْدِي، فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ نَقْدٌ وَتَوْجِيهِ، دَارُ الرَّائِدِ الْعَرَبِي، ط 2، لِبْنَان-بِيْرُوت، 1406 هـ-1986 م، ص 233.
- (45) يُزَوَّى: أَنَا ابْنُ أَبَاةِ الضَّيْمِ. الطَّرِمَّاحُ، الدِّيَوَانُ، تَح: د. عِزَّةُ حَسَنَ، دَارُ الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ، ط 2، حَلَب-سُورِيَّة، 1414 هـ-1994 م، ص 280.
- (46) الْغَلَّابِيْنِي، مَصْطَفَى، جَامِعُ الدُّرُوسِ الْعَرَبِيَّةِ، عِنَايَةُ: د. كُوكِبُ دِيْبُ دِيَابُ، الْمَوْسَسَةُ الْحَدِيثِيَّةُ لِلْكِتَابِ، ط 1، طَرَابْلُس-لِبْنَان، 2004 م، ص 400.
- (47) الْأَعْرَاف: 12/7.
- (48) ص: 75/38.
- (49) الرَّمْخَسَرِيُّ، مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ، الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ وَعَيُونِ الْأَقَاوِيلِ فِي وُجُوهِ التَّأْوِيلِ، تَح: عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْمُهْدِي، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، ط 2، بِيْرُوت، 1421 هـ-2001 م، ج 2، ص 86.
- (50) الْعَنْكَبُوت: 42-41/29.
- (51) سِيْبُويَه، عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، الْكِتَابُ، ج 3، ص 148.

- (52) أَبُو حَيَّان، أَثِيرُ الدِّينِ، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، تح: الشَّيْخُ عَادِلُ أَحْمَدَ عَبْدُ الْمُوْجُودِ - الشَّيْخُ عَلِيُّ مُحَمَّدَ مَعْوُضَ، ج 7، ط 1، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ - 2001م، ص 149.
- (53) ابْنُ عَاشُورٍ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، 1997م، ج 20، ص 254.
- (54) النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، تح: زُهَيْرُ غَازِي زَاهِد، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، ط 2، 1405هـ-1985م، ج 3، ص 257.
- (55) أَبُو حَيَّان، أَثِيرُ الدِّينِ، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، ج 7، ص 149.
- (56) العنكبوت: 17/29.
- (57) الْفَارِسِيُّ، أَبُو عَلِيٍّ، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: د. عوض بن حمد القوزي، ط 1، 1410هـ - 1990م، ج 2، ص 262.
- (58) ابْنُ عَاشُورٍ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، ج 20، ص 255.
- (59) أَبُو حَيَّان، أَثِيرُ الدِّينِ، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، ج 7، ص 147.
- (60) ابْنُ عَاشُورٍ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، ج 20، ص 254.
- (61) النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، ج 3، ص 257.
- (62) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: سعد كُرَيْمُ الْفَقِي، دار اليقين، ط 1، مصر، 1422هـ-2001م، ج 2، ص 645.
- (63) الْحَلِّي، أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ، الدُّرُ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، ط 2، دمشق، 1424هـ-2003م، ج 9، ص 23.
- (64) يونس: 88/10.
- (65) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ، ط 1، بَيْرُوت، 1405هـ-1985م، ص 275. وانظر: الْأَخْفَشُ، سَعْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، مَعَانِي الْقُرْآنِ، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - مطبعة المدني، ط 1، القاهرة، 1411هـ-1990م، ج 1، ص 377. وانظر: الرَّجَّاجُ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ، معاني القرآن وإعرابه، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1408هـ-1988م، ج 3، ص 30.
- (66) ابْنُ عَاشُورٍ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، ج 11، ص 268.
- (67) أَبُو حَيَّان، أَثِيرُ الدِّينِ، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، ج 5، ص 185.
- (68) آل عمران: 178/3.
- (69) النساء: 176/4.
- (70) النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، ج 2، ص 266.
- (71) الرَّمَّحْشَرِيُّ، مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ، الْكَشَافُ، ج 2، ص 347.
- (72) الْأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّينِ بْنُ هِشَامٍ، مُغْنِي اللَّيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِبِ، تح: مَازِنُ الْمُبَارَكِ-مُحَمَّدُ عَلِيَّ حَمْدُ اللَّهِ، مُرَاجَعَةُ سَعِيدِ الْأَفْغَانِيِّ، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت-لَبْنَان، 1432هـ-2010م، ص 211.
- (73) أَبُو حَيَّان، أَثِيرُ الدِّينِ، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، ج 5، ص 185.
- (74) الأحزاب: 37/33.
- (75) الْحَلِّي، أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ، الدُّرُ الْمَصُونُ، ج 9، ص 126.

- (76) الرَّمْخُسَرِيُّ، مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ، الْكَشَّافُ، ج3، ص 551.
- (77) ابْنُ عَاشُورٍ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، ج22، ص32-33.
- (78) الرَّمْخُسَرِيُّ، مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ، الْكَشَّافُ، ج3، ص 550.
- (79) ابْنُ عَاشُورٍ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التحرير والتنوير، ج22، ص33.
- (80) الْخَوْلِيُّ، د. إِبْرَاهِيمُ، مُقْتَضَى الْحَالِ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ الْقَدِيمَةِ وَالنَّقْدِ الْحَدِيثِ، دَارُ الْبَصَائِرِ، ط1، 1428هـ-2007م، ص314-315-116-117.
- (81) الموزعي، ابن نور الدين، مصابيح المغاني في حروف المعاني، تح: عائض بن نافع العمري، دار المنار، القاهرة، 1993م، ص157.
- (82) جَرِيرٌ، ابْنُ عَطِيَّةٍ، الدِّيَوَانُ، شَرْحُ مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلَ الصَّاوِي، مطبعة الصاوي، مصر، 1353هـ، ص98.
- (83) الْأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّينِ بْنُ هِشَامٍ، مُغْنِي اللَّيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعْرَابِ، ص21.
- (84) الموزعي، ابن نور الدين، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص75.
- (85) البقرة: 2/189.
- (86) الشورى: 42/17.
- (87) طه: 20/44.
- (88) ابن فلاح، المغني في النحو، تح: عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000م، ج3، ص137-138.
- (89) الصافات: 37/147.
- (90) الْفَرَّاءُ، يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ، مَعَانِي الْقُرْآنِ، تح: أَحْمَدُ يُونُسُفُ نَجَّاتِي- مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ نَجَّار- عَبْدُ الْفَتَّاحِ إِسْمَاعِيلُ شَلبي، دَارُ الْكُتُبِ الْمَصْرِئَةِ، ط3، مصر، 1422هـ-2001م، ج1، ص250.
- (91) المرجع السابق، ج1، ص72.
- (92) المرجع السابق، ج2، ص393.
- (93) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1420هـ-1998م، ج21، ص115.
- (94) الْأَخْفَشُ، سَعْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، مَعَانِي الْقُرْآنِ، ج1، ص34.
- (95) النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، ج3، ص443.
- (96) المرجع السابق، ج3، ص443.
- (97) المرجع السابق، ج3، ص443.
- (98) النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، تح: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1408هـ-1988م، ج6، ص61.
- (99) المعارج: 70/1.
- (100) الأنفال: 8/32.
- (101) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج13، ص506-507.

(102) الْفَرَاءُ، يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ، مَعَانِي الْقُرْآنِ، ج 3، ص 183.

(103) النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، ج 5، ص 28.

(104) جعل الزمخشري النبي يستعجل لهم العقوبة، وجعل ابن عاشور الآية تشير إلى استعجال الكفار العقوبة، وإلى حادثة النظر

بن الحارث، وإلى طلب النبي من الله أن يعينه على الكفار بالقحط. انظر: الزَّمَخْشَرِيُّ، مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ، الْكَشَّافُ، ج 4، ص 611. وانظر:

ابنُ عَاشُورَ، مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ج 29، ص 153.